الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الأربعون
شوال ١٤٤٧هـ
نيسان ٢٠٢٦م

العدد
٤٧٧

كلمة الوعي

مضيق هرمز
السلاح الإستراتيجي الضائع
وعين على مضايقنا وأسلحتنا الإستراتيجية الضائعة

الأستاذ: مُناجي محمد

السقوط الحضاري

حين تتهاوى أسطورة القوة

مقدمات أدلة إثبات وجود اللّه

الأستاذ: يوسف الساريسي

أين أمة الإسلام من حرب المعادن النادرة

م. موسى عبد الشكور

الجدل في صفات اللّه تبارك وتعالى

الأستاذ: لقمان حرزالله

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

• كلمة الوعي: مضيق هرمز السلاح الإستراتيجي الضائع

وعين على مضايقنا وأسلحتنا الإستراتيجية الضائعة الأستاذ: مُناجي محمد ٣

• السقوط الحضاري ٩

• أين أمة الإسلام من حرب المعادن النادرة م. موسى عبد الشكور ١٢

• الجدل في صفات الله تبارك وتعالى الأستاذ: لقمان حرزالله ٢٠

• مقدمات أدلة إثبات وجود الله الأستاذ: يوسف الساريسي ٢٦

• رياض الجنة: حلاوة الايمان؛ نبض القلب إلى قيادة الأمم ٣٩

• مع القرآن الكريم: حاجة الإنسان المستمرة إلى هداية الله وحده

الأستاذ: خليفة محمد ٤٣

• أخبار المسلمين في العالم ٤٦

• استدراك الأستاذ: أبو مالك، ثائر سلامة ٤٩

• كلمة أخيرة: الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع الأستاذ: ريان عيسى ٥١

• غلاف أخير: حين تتهاوى أسطورة القوة ٥٢

مضيق هرمز السلاح الإستراتيجي الضائع
وعين على مضايقنا وأسلحتنا الإستراتيجية الضائعة

مُناجي محمد

كشفت حرب أمريكا على إيران حقيقة من الحقائق التي تكشفها الحروب، باعتبار الحرب هي لحظة الحقيقة العارية التي تتكشف فيها الحقائق الإستراتيجية والجيوستراتيجية المطوية والمخفية، فالحرب هي أفعل وأبلغ المختبرات في الإخبار عن ذلك، والحقيقة اليوم زمن حرب أمريكا على إيران هي حقيقة مضيق هرمز، من حيث هو ممر بحري حيوي شديد الخطورة وقفل خانق قاتل، والذي كشفت الحرب أنه يكاد يكون أقوى سلاح إستراتيجي في يد إيران الساعة!

يُعد مضيق هرمز أحد أهم الممرات البحرية الحيوية والإستراتيجية لتجارة الطاقة ومن أخطرها، ويربط شمال الخليج بخليج عُمان وبحر العرب جنوبا، وتكسبه أبعاده الجغرافية خطورة إستراتيجية قصوى، فممره الملاحي الفعلي لحركة السفن والناقلات ضيق جدا، بالكاد يصل إلى ثلاثة كيلومترات في كل اتجاه، وتستخدم الناقلات ممرين ملاحيين، أحدهما للدخول والثاني للخروج، بعرض ثلاثة كيلومترات فقط لكل اتجاه وهي مساحة ضيقة للعبور، ما يجعل منه نقطة اختناق شديدة الحساسية وقفلا شديد الإحكام، ويسمح بالسيطرة التامة عليه لصاحب الرؤية المبدئية والقرار السياسي السيادي، ويزيد من خطورته الإستراتيجية انعدام البدائل له، رغم ما يقال من وجود خطوط أنابيب بديلة في السعودية والإمارات. لكن مراكز الطاقة وإدارة معلومات الطاقة الأمريكية تشير إلى أن «معظم الشحنات التي تعبر المضيق لا تملك بدائل أخرى للخروج من المنطقة»، فمضيق هرمز هو الشريان الحيوي الرئيس لناقلات النفط والغاز العملاقة المتجهة إلى أسواق آسيا والعالم، والقادمة من السعودية والكويت والعراق وقطر والبحرين والإمارات وإيران (نفط وغاز البلاد الإسلامية وثروة المسلمين المنهوبة!).

يعد مضيق هرمز أهم نقطة اختناق بحرية في العالم لتجارة الطاقة وأخطرها، فعبر مضيق هرمز يمر أكثر من ثلث النفط الخام المنقول بحراً لأنحاء العالم وتصل نسبته إلى ٣٨٪ من الإمدادات النفطية العالمية، يمر عبره يوميا نحو ٢٠ إلى ٢١ مليون برميل من النفط الخام والمشتقات البتروكيماوية، ويُعد كذلك مركز الغاز المسال، حيث تعبره حوالي ٢٠٪ إلى ٣٣٪ من تجارة الغاز الطبيعي المسال في العالم، وتعتمد عليه قطر بشكل كلي لتصدير شحناتها من الغاز لدول آسيا والعالم، وهو شريان الطاقة الرئيس للأسواق الأسيوية وعلى رأسها أكبر الاقتصادات الآسيوية مُمثلة في الصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية، كما يعد المضيق شريانا حيويا لتجارة الأسمدة والمواد الكيماوية، ووفقا للبيانات والتقديرات في سنة ٢٠٢٦ يمر عبر المضيق ما بين ٢٥٪ إلى ٣٠٪ من صادرات الأسمدة النيتروجينية (اليوريا بالخصوص)، ثم المواد الكيماوية، ويشكل الكبريت أهمها فيعبر من المضيق ما يقارب ٤٥٪ من تجارة الكبريت في السوق الدولية، وهو العنصر الرئيس في إنتاج الأسمدة

الفوسفاتية، عطفا على الخامات والمعادن (الألمنيوم، والنحاس، والكبريت، والليثيوم والكوبالت)، وتأثيرها على سلاسل الإمداد لقطاع الصناعة والتكنولوجيا (حمض الكبريت واستعمالاته في أشباه الموصلات عصب التكنولوجيا)، ثم باقي البضائع التي تمر عبره. تصفه وكالة «رويترز» بمركز الثقل الحقيقي لأمن الطاقة العالمي، وأي اضطراب فيه يؤدي حتما إلى صدمة فورية للأسواق والتجارة. «يمر عبر المضيق نحو خمس الطلب العالمي تقريبا من النفط قادما من السعودية والإمارات والعراق وإيران والكويت، إلى جانب ناقلات تحمل الديزل ووقود الطائرات والبنزين وخامات ومنتجات أخرى». المصدر رويترز.

الأمر الذي يجعل من مضيق هرمز رئة الاقتصاد الرأسمالي وشريان الحياة للصناعة والتكنولوجيا الرأسمالية عبر سلاسل توريد الطاقة والخامات لتشغيل مصانعها ومعاملها، وكذلك الأسمدة والكيماويات اللازمة للزراعة الرأسمالية التسويقية، عطفا على كونه شريانا حيويا للتجارة الرأسمالية، فمضيق هرمز ليس مجرد ممر بحري بل هو حقيقة سلاح ردع إستراتيجي يكاد يوازي أو يفوق سلاح الردع النووي، لأنه يصيب الاقتصاد الرأسمالي في مقتل، وتأثيره يطال صلب المنظومة الرأسمالية في اقتصادها، ومعها الدولة والمجتمع والحياة في الغرب والصين على السواء.

يمر من مضيق هرمز نحو ٢٠ مليون برميل نفط يوميا، وشبه إغلاقه تَسبَب في زيادة تكاليف الشحن والتأمين وارتفاع أسعار النفط، وأثار مخاوف من تداعيات اقتصادية عالمية، ما دفع برؤساء شركات النفط الأمريكية الكبرى «إكسون موبيل وشيفرون وكونوكو فيليبس» إلى تحذير إدارة ترامب من أن أزمة الطاقة ستتفاقم مع استمرار إغلاق مضيق هرمز بحسب إفادة صحيفة وول ستريت جورنال، ونقلت الصحيفة كذلك عن مصادر مطلعة أن رؤساء الشركات الثلاث شاركوا في اجتماع في البيت الأبيض، وأجروا سلسلة محادثات مع وزير الطاقة ووزير الداخلية لتدارس تبعات إغلاق مضيق هرمز.

فمضيق هرمز هو العقدة والورطة الكبرى لأرعن أمريكا ترامب، الأمر الذي حطم حقيقة عنجهيته وصلفه، وليس ضرب قواعده ومنشآت عساكره في الخليج، فإغلاق المضيق هو الذي اضطَره للضغط على الصين ودول أوروبا والحلف الأطلسي لفك معضلة إغلاق مضيف هرمز، فقد طالب ترامب حلفاءه في الناتو وأوروبا بـالمشاركة في تحالف عسكري لفك إغلاق مضيق هرمز وتأمين الملاحة فيه، وذلك منتصف مارس/آذار ٢٠٢٦، وذكر ترامب بالاسم الصين وفرنسا واليابان وكوريا الجنوبية وبريطانيا، فقد صرح ترامب بأنه «طالب حوالي سبع دول تعتمد على نفط الشرق الأوسط بالانضمام إلى تحالف لفرض الأمن في مضيق هرمز الذي يمر عبره نحو خُمس تجارة النفط العالمية»، وتحفَّظ الكل على طلبه، وهو حقيقة رفض مبطن، حتى إن هيئة تحرير صحيفة واشنطن بوست دعت الإدارة الأمريكية إلى إعادة تقييم إستراتيجيتها في الصراع الدائر مع إيران، مقترحة خيار «إعلان النصر والانسحاب» سبيلا وحيدا لكسر الجمود في مضيق هرمز. بل إن خيار الهجوم البري يرى فيه كثير من الساسة والقادة العسكريين الأمريكان كابوس فيتنام وأفغانستان ومستنقعا ساما مدمرا للدولة

فمقتل الغرب ليس في تحطيم جيوشه ومعداته، ولكن مقتل الغرب الرأسمالي هو في تحطيم اقتصاده الرأسمالي، فالاقتصاد الرأسمالي هو قلب المبدأ الرأسمالي والمحرك الفاعل والمؤثر في المنظومة السياسية والرؤية الإستراتيجية للغرب، فقلب الغرب ورئته هما اقتصاده الرأسمالي، وجوهر الرأسمالية هي التجارة العابرة للقارات، فهي مصدر الربح والثروة الرأسمالية، والطاقة هي وقود محرك إنتاجها، ومقتلها هو في شل إنتاجها وتعطيل سلاسل التوريد عبر تعطيل إمدادات الطاقة عصب النشاط الاقتصادي الرأسمالي، ما يؤدي إلى ارتفاع كلفة الإنتاج ويتسبب تلقائيا بموجة التضخم المزمن، ومعه ارتفاع تكاليف المعيشة والاستهلاك، وضرب للقدرة الشرائية، ومعها مزيد من الاحتقان والتذمر والتمرد ضد المنظومة الرأسمالية، فالمضايق هي سلاح الردع الإستراتيجي للجم الغرب والتصدي لهمجيته الصليبية ووحشيته الاستعمارية متى كانت الدولة صاحبة الرؤية المبدئية والقرار السياسي السيادي، فيخرج من كونه أداة للمناورة والمفاوضة والمقايضة إلى سلاح للردع يمنع الاعتداء أصلا.

وهنا تكمن الخطورة الإستراتيجية للمضايق بوصفها ممرات حيوية وأقفالا قاتلة وأسلحة إستراتيجية عالية التدمير. فالمضايق البحرية هي شرايين التجارة الرأسمالية العابرة للقارات (نفط وغاز ومعادن وأسلحة وخامات وسلع وبضائع..) بل هي شرايين الحياة للاقتصاد الرأسمالي وشرايين حياة دوله ومجتمعاته، فالسيطرة عليها والتحكم فيها هو تحكم فعلي قوي في اقتصاد الغرب الرأسمالي، وهي نفوذ وتأثير ضاغط على الغرب دولا ومجتمعات متى وجدت الدولة المبدئية والقرار السياسي السيادي النابع من رؤيتها المبدئية علما أن المضيق جزء من سيادتها ومجالها الحيوي الإستراتيجي

المفارقة الدامية أن مضيق هرمز هو جزء من الجغرافية الإسلامية، وخطورته الإستراتيجية كانت لتكون سلاحا إستراتيجيا لخدمة الإسلام وقضايا أمته، وليس مجرد أداة ضغط ومناورة ومقايضة وتوظيف زمن الحرب لمصالح وطنية ضيقة، وتشتد المفارقة قساوة متى عُلِم أن أخطر مضايق الأرض وأقفالها تنتمي للبلاد الإسلامية، وهي جزء من جغرافيتها الحيوية ومجالها الجيوستراتيجي، وهذه بعض من مضايقنا الحيوية وأسلحتنا الإستراتيجية ومكمن ثقلنا الجيوستراتيجي متى وجد الفاعل السياسي المبدئي:

***مضيق ملقا**

فهناك مضيق ملقا بين ماليزيا وجزيرة سومطرة الإندونيسية، ويعد أقصر ممر مائي بين المحيطين الهندي والهادئ، ما يجعله حجرًا أساسيًا في التجارة العالمية، حيث تمر عبره نحو ٨٢ ألف سفينة سنويًا، ويمر عبره أكثر من ٤٠٪ من التجارة العالمية، بما في ذلك ٨٠٪ من واردات الصين من النفط الخام، وجزء كبير من إمدادات الطاقة إلى اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان، ما يجعل منه شريان الطاقة لدول آسيا واقتصاداتها الكبرى (الصين واليابان وكوريا الجنوبية)، ويعد معضلة جيوستراتيجية بالنسبة للصين، فهو عقدة النقل البحري لاقتصاد الصين، ما يعني أن السيطرة عليه والتحكم به يلزم منهما التأثير الفعال في دول آسيا الكبرى، وتحديدا الصين.

***مضيقا البوسفور والدردنيل**

مضيقا البوسفور والدردنيل رئة البحر الأسود ومفتاح أوراسيا، فهما الممر البحري في قلب مدينة إسطنبول، يربطان البحر الأسود ببحر مرمرة وعبر الدردنيل ببحر إيجه وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط. وخطورته الإستراتيجية في كونه الممر البحري الوحيد الذي يربط آسيا بأوروبا ويربط بحارا مغلقة بأخرى مفتوحة، ويشكل المنفذ الوحيد لدول البحر الأسود، وهو بحكم الرئة التي تتنفس منها دول، منها روسيا وأوكرانيا وجورجيا ورومانيا وبلغاريا، ويُمكِّنُها من الوصول إلى المياه الدافئة، أي البحر الأبيض المتوسط والمحيطات العالمية، يمرّ عبره أكثر من ٤٠ ألف سفينة سنويا، وحوالي ٣٪ من إمدادات النفط العالمية، وبخاصة النفط الروسي والكازاخي. ويشكل الممر الرئيس لصادرات الحبوب الأكرانية والروسية التي تغذي العالم. اختصارا هو الورقة الإستراتيجية الفعالة بيد صاحب القرار السياسي السيادي للتأثير في روسيا ودول حوض البحر الأسود وجزء حيوي خطير من أوراسيا.

***مضيق باب المندب**

يقع مضيق باب المندب بين شبه الجزيرة العربية والقرن الإفريقي، ولا سيما جيبوتي وإريتريا، ويشكل ممرًا مائيًا ضيقًا يربط البحر الأحمر بخليج عدن ومن ثم بالمحيط الهندي، كما يعد مفتاح البوابة الجنوبية لقناة السويس بمصر، ويُعدّ المنفذ البحري المباشر الوحيد إلى قناة السويس والرابط الرئيس بين أوروبا وآسيا، ويعدّ شريانا حيويا للتجارة الرأسمالية العالمية بمعدل ١٠٪ إلى ١٢٪ من حجم التجارة العالمية سنويا، والسيطرة عليه والتحكم به يعني التأثير الفعال في حركة التجارة العالمية والسياسات المرتبطة بها، فأي حادث في مضيق باب المندب له التأثير المباشر على الأسواق العالمية عبر تعطيل سلاسل التوريد في القطاعات الحيوية الرئيسية ورفع تكاليف الخدمات اللوجستية، وهو ما ظهر جليا مع الحرب على غزة ونيرانها التي طالت البحر الأحمر ومضيق باب المندب وأغلقت معه البوابة الجنوبية لقناة السويس، ما اضطَرّ الشركات الرأسمالية الكبرى للشحن البحري إلى تحويل مسارها عبر رأس الرجاء الصالح جنوب أفريقيا، وهي مسافة أطول بكثير، ما ضاعف تكاليف الشحن والتأمين ومعه تكاليف الإنتاج وأسعار السلع والبضائع وما تبعه من تضخم..

***مضيق جبل طارق**

مضيق جبل طارق نافذة على أوروبا وبوابة الغرب الإسلامي وأفريقيا، بمثابة قناة تربط البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، بين أقصى جنوب بلاد الأندلس المغتصبة وأقصى شمال غرب بلاد المغرب، ذو أهمية حيوية عالية. فوفقًا لهيئة ميناء جبل طارق يعبر المضيق سنويًا نحو ٦٠ ألف سفينة تنقل سلعًا أساسية كالنفط والغاز الطبيعي والمواد الغذائية والسلع المصنعة، إضافة إلى ذلك يُعد جبل طارق أحد أكبر موانئ التزويد بالوقود وأكثرها ازدحامًا في البحر الأبيض المتوسط، أما عن أهميته الإستراتيجية وخطورته الجيوستراتيجية فيكفي أن يعلم أن بريطانيا الصليبية أقامت أخطر قواعدها البحرية على مشارفه «قاعدة جبل طارق البحرية البريطانية» التي تعد أخطر قاعدة

لمراقبة التحركات البحرية في المنطقة والتجسس على التحركات البرية والجوية عبر تواجد الجيش البريطاني وسلاح الجو البريطاني في جبل طارق، تحت غطاء تقديم خدمات الإصلاح والإمداد والدعم اللوجستي. وكل هذا يعكس الأهمية الحيوية والخطورة الإستراتيجية والجيوستراتيجية لمضيق جبل طارق. والأمر متوقف على الفاعل السياسي المبدئي الذي يعيده لحضنه وجغرافيته الإسلامية كما كان ويقطع اليد البريطانية ويمنع كل يد من الوصول إليه، بل ويعود معه البحر الأبيض المتوسط بحرا لأسطول دولة الإسلام وخلافة المسلمين.

هذه بعض مضايقنا الإستراتيجية الضائعة وأهميتها الجيوستراتيجية المفقودة، فهي بحق مفاتيح العالم وأقفاله وفوق ذلك هي جزء من أرض الإسلام وجغرافيته الحيوية الإستراتيجية.

هذه الأهمية الحيوية والخطورة الإستراتيجية كشفتها الحرب الدائرة الآن ضد إيران، فبمجرد ما تم التلويح بإغلاق مضيق هرمز أعلنت شركات تأمين الشحن البحري باتفاق وإجماع بينها على سحب التغطية والتأمين للسفن والناقلات العابرة للمضيق بسبب مخاطر الحرب، فقد ذكرت وكالة «رويترز» أن كبريات شركات التأمين من بينها جارد وسكولد ونورث ستاندرد ونادي لندن للحماية والتعويض وذا أمريكان كلوب، في إشعارات بتاريخ أول مارس/ آذار على مواقعها الإلكترونية أن الإلغاءات يسري مفعولها اعتبارا من الخامس من مارس/ آذار، كما علّقت شركات شحن الحاويات الكبرى بما فيها ميرسك وهاباج لويد عمليات النقل عبر مضيق هرمز، ما شل حركة ناقلات النفط وتسبب في تعطيل إمدادات الطاقة والخامات وشل الحركة التجارية عبر المضيق، كما حذر صندوق النقد الدولي من أن الحرب مع إيران وما يصاحبها من اضطرابات في إمدادات الطاقة قد تؤدي إلى ارتفاع معدلات التضخم وتباطؤ النمو الاقتصادي على مستوى العالم، وذلك في حال استمرار ارتفاع أسعار النفط والغاز لمدة طويلة وكالة رويترز ٢٠٢٦/٠٣/١٩. علاوة على ذلك توقع بنك غولدمان ساكس استمرار ارتفاع أسعار النفط، ويقدر البنك أن سعر خام برنت قد يتجاوز أعلى مستوى تاريخي له عند حوالي ١٤٧ دولارًا للبرميل الذي سجله عام ٢٠٠٨ إذا استمرت اضطرابات الإمداد وإغلاق المضيق. وتبعًا لذلك تتصاعد أسعار الغاز والكهرباء ومعها فاتورة الطاقة للشركات والحكومات على حد سواء، ما يضغط على إنتاج الشركات ويعقّد القرارات المتعلقة بميزانيات الدول الرأسمالية بالخصوص. لهذا السبب بدأت أوروبا التي تعاني أزمة طاقة حادة جراء الحرب الروسية الأوكرانية والعقوبات على النفط والغاز الروسي والتي تفاقمت واستفحلت مع هذه الحرب، تتوقع الصدمة وتتوجس الكارثة، وعكس ذلك مراجعة أوروبا سياسات تخزين الغاز وخوفها الحقيقيً بشأن احتمال انقطاع الإمدادات، وهكذا يعود شبح أزمة طاقة عالمية جديدة للظهور، وقد كان هذا الأمر ضاغطا على حكومات أوروبا، ما دفعها إلى الاستجابة لرأسماليتها وأسواقها الرأسمالية وحسابات بنوكها في طلب التهدئة وعدم الانخراط في حرب ترامب وتحالفه، فالكلفة الرأسمالية لإغلاق مضيق هرمز عالية جدا وعلى أوروبا بالخصوص، والعرف الرأسمالي الغربي المأثور أن «رأس المال جبان».

فحرب إيران باتت ورطة ترامب العسكرية كما كانت ورطة أفغانستان والعراق لمن سبقه، إلا أن انكشاف أمريكا ترامب في حرب إيران كان سريعا وصادما، وهو يكشف حجم تدهور الغرب وسوس الانهيار الحضاري الذي ينخر أحشاءه ودولته الأولى. ولقد شكل مضيق هرمز وتبعات إغلاقه الجزئي ضربة صاعقة لأمريكا والغرب بمجمله، فأوروبا تعيش الساعة كابوس الكساد الكبير جراء اعتمادها الكلي على نفط الخليج وتحديدا بعد الحرب الروسية/الأوكرانية وتوقف إمدادات الطاقة الروسية جراء العقوبات.

فلقد كشفت الحرب أوراق القوة الضائعة من أيدي المسلمين جراء فراغ الدولة، والتأثير المدمر الفعال لبعض هذه الأوراق على الاقتصاد الرأسمالي الغربي صلب المنظومة الرأسمالية الغربية، عبر مصادر الطاقة ثروة المسلمين بامتياز، وعصب الإنتاج الصناعي للغرب وزراعته التسويقية والتكنولوجيا والشحن ومواصلات التجارة الرأسمالية الغربية، ثم امتلاك المسلمين لمفاتيح البحار والمحيطات وأقفالها، وهي الشرايين الحيوية للطاقة والخامات والمعادن والبضائع الضرورية للصناعة والتكنولوجيا والفلاحة المتعلقة بسلاسل الإمدادات والموصلات لتجارة الغرب الرأسمالي.

فحرب أمريكا ترامب على إيران أكدت الحقيقة العارية؛ أن القضية مع الغرب ليست عسكرية ولكنها سياسية بامتياز، والغرب يوظف فراغ الدولة الذي نعاني منه لتحويل ورطته العسكرية لمخرج سياسي منها، وهو ما يجري اليوم عبر فتح نافذة المفاوضات مع حكام إيران للخروج من الورطة العسكرية.

فقضيتنا المصيرية في القرار السياسي المبدئي (الدولة المبدئية) التي تُفَعِّل أوراق القوة التي هي ملك للمسلمين في ردع الغرب وشل حركته، علما بأن الغرب يعيش حالة انهيار حقيقية، وأي حرب حقيقية مع إحكام القبضة لخنقه وإغلاق كل الشقوق والمنافذ لخروجه من ورطته كفيلة بإنهاكه واستنزافه بل وإفنائه، والأمر متوقف على الفاعل الحقيقي، خليفة المسلمين، وصاحب القرار السياسي المبدئي السيادي.

فحرب أمريكا على إيران كشفت حقيقة أوراق القوة الإستراتيجية والجيوستراتيجية الضائعة التي يملكها المسلمون ويستغلها عدوهم الغرب الكافر ويوظفها ضدهم، جراء غياب الدولة الذي يعاني منه المسلمون. فغياب الدولة الذي تعاني منه الأمة والجغرافية الإسلامية هو الثقب الأسود الجيوستراتيجي والإستراتيجي الذي ضاعت معه طاقات الأمة الحية وقواها الحيوية وأوراق قوتها الإستراتيجية، بل تحولت أوراق قوتها بغياب الدولة التي تنتزع هذه الأرواق وتعيدها لأصلها الإسلامي، إلى نقمة وشر وسلاح يستخدم ضدنا وليس لنا.

هي طاقتنا ومضايقنا وأسلحتنا الإستراتيجية الضائعة في زمن ضياع دولة الإسلام، ولن تعود لنا إلا بهدم هذا الواقع الاستعماري وردم هذا الثقب الأسود الجيوستراتيجي والجيوسياسي عبر إقامة دولة الإسلام على أنقاضه وفوق ردمه.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.■

السقوط الحضاري

يشبه فلاسفة التاريخ الحضارة بالسلم المتهالك، كلما صعدت لأعلى، سقطت درجة من درجاته، فإذا سقطت من ارتفاع منخفض لن تصاب بأذى، لكن إذا صعدت عدة درجات ستكون تبعات السقوط أخطر، وإذا وصلت لارتفاع محدد سيكون أي سقوط مميتاً، غير أن انهيار المجتمعات الحديثة ليس أمرا حتمياً، ورغم أن الأدلة التاريخية ترجح قرب انهيارها، فلا تزال أمامنا فرصة لنأخذ العبرة من مصائر المجتمعات السابقة.

ويجمع فلاسفة التاريخ الذي تناولوا ما سموه (التعاقب الدوري للحضارات)، على أن العوامل الداخلية تعد أهم الأسباب الرئيسة في اضمحلال الحضارات وتآكلها ثم سقوطها أخيراً، إذ إنها تقضي على مناعة الجسم المجتمعي، فتذره حِمىً مستباحاً للتدخل الخارجي الذي يأتي ليشكل الضربة القاضية، أو المسمار الأخير في نعش الحضارة، وإن مَثَلَ الجسم المجتمعي في ذلك، مَثَل الجسم البيولوجي الذي تتكالب عليه الفيروسات والبكتيريا عندما يختل جهازه المناعي، حتى تقضي عليه في النهاية.

ولقد أتى القرآن الكريم بما يؤكد مسؤولية العوامل الداخلية عن الانحطاط الذي يصيب المجتمعات، إذ إنها تفتك بجهاز المناعة المجتمعي فتجعله قابلاً لإتيانه من قبل الخارج، وذلك من مثل قوله تعالى:﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[1]، وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[3].

وجاءت السنة النبوية أيضاً بما يعزو انهيار المجتمعات إلى العوامل الداخلية، كما في حديث النبي ﷺ عن القوم الذين استهموا على السفينة، وحديثه ﷺ: (**كُلُّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ثَغْرَةٍ مِنْ ثُغَرِ الْإِسْلَامِ، اللَّهَ اللَّهَ لَا يُؤْتَى الْإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِكَ**)[4]، وكل هذه الآيات والأحاديث ونظائرها تشير، إلى المسؤولية المباشرة للأفراد والمجتمعات عن انهيار الحضارات، وتقهقر الدول، وانطفاء سَورَة العصبيات. أما العوامل الخارجية، فمهما كانت عليه من القوة والإمكانيات، فلا يمكن أن تؤتي أكلها ما لم تكن الحالة الداخلية للمجتمع المعني مواتية.

ويعد المفكّر المسلم عبد الرحمن بن خلدون (توفي عام ٨٠٨هـ) أول من نظَّر لمسألة السقوط الحضاري فلسفياً، وذلك عندما حدد في مقدمته أطوار الدولة بخمسة أطوار، تبدأ من الطور الأقوى فالأقل قوة، إلى أن تضعف وتتآكل، ثم تترنح، فتسقط بفعل عوامل ذاتية

(١)سورة آل عمران، الآية رقم (١٦٥).
(٢)سورة الرعد، الآية رقم (١١).
(٣)سورة الأنفال، الآية رقم (٥٣).
(٤)أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، السنة، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ص ١٣

بحتة.

يقول الأستاذ خالد فؤاد طحطح في كتابه (في فلسفة التاريخ): «يُعد ابن خلدون مبتدع نظرية التعاقب الدوري للدول في تاريخ الفكر الإنساني، من حيث بعدها الاجتماعي والفلسفي العام، فلقد توصل إلى الاقتناع بفكرة التعاقب في الحضارة (الدولة عنده)، وقارن في دائرية التغيير بين الإنسان والمجتمع»، ويضيف: «فللمجتمعِ عنده عمر يمر به كعمر المرء الذي يولد، ثم يكتمل نموه، ثم يهرم ويموت، وعلى هذا الأساس، تمر الدولة بالمراحل التالية: بداوة ازدهار تدهور».[٥]

ومن بعد ابن خلدون جاء فلاسفة آخرون، اقتفوا أثره في القول بنظرية التعاقب الدوري للحضارات، وبالدور الكبير الذي تؤديه الانقسامات والفتن الداخلية في تمزيق المجتمعات، وجعلها نهباً للطامعين فيها، من أبرزهم: باتيستا فيكو (توفي عام ١٧٤٤م) وأوزفالد اشبنجلر (توفي عام ١٩٣٦م)، وأرنولد توينبي (توفي عام ١٩٧٥م).

يُرجع (توينبي) مثلاً، انحطاط الحضارات والدول وانهيارها إلى عوامل ذاتية داخلية في المقام الأول، وما العوامل الخارجية عنده إلا استغلال للعوامل الداخلية التي تمهد السبيل وتوطئ الأرض للعوامل الخارجية لكي تُجْهز على الدولة والأمة والحضارة، ويرى أن من أبرز العوامل الداخلية للانهيار، فشلَ الحكومات في الاستجابة المناسبة للتحديات القائمة المتأتية أساساً من العوامل الداخلية.

يقول الأستاذ خالد فؤاد طحطح في كتابه المذكور آنفاً: «وهكذا يفسر توينبي انهيار الحضارات بتحلل المجتمعات من الداخل قبل أن يأتيها غزو من الخارج ليجهز عليها، ذلك أن الغزو الخارجي في مثل هذه الحالة يمثل الضربة القاضية في مجتمع يلفظ أنفاسه الأخيرة.

لذا يمكن القول إن أية حضارة من الحضارات، أو دولة من الدول، لا يمكن أن تنهار من الخارج، دون أن تكون قد تآكلت من الداخل، إذ لا يمكن بحال من الأحوال قهر أية إمبراطورية من الخارج، إذا لم تكن قد انتحرت»

ويتحدث الكاتب محمد حسنين هيكل في كتابه الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق عن الولايات المتحدة الأمريكية فيقول: (ومع أن السياسة الأمريكية في هذه اللحظة تبدو أمام العرب عاصفة من العنف الأحمق والجامح إلا أن ذلك لا ينبغي أن يخيف ويغرى بالفرار، لأن واحداً من أهم دروس التاريخ: أن الإمبراطوريات العاتية تكابر حتى تصل إلى الذُرّى العالية، ثم تكتشف عند الوصول هناك أن البقاء فادح التكاليف، وعندها تظهر حتمية النزول،

(٥) (الوعي: كلام ابن خلدون عن أعمار الدول وصعودها وسقوطها لا علاقة له بقضية نشوء الحضارات وصعودها وانحدارها وزوالها. فكلامه هو عن الدول التي يرى - ورأيه فيه نظر ونقاش- أنها لا تتشكل إلا بالعصبيات. فالدولة عنده هي عهد حكم أسرة أو عصبية، كالدولة الأموية والدولة العباسية والدولة السلجوقية والدولة الأيوبية... ونشوء هذه الدول وصعودها ثم انحدارها وزوالها لا يعني البتة نشوء حضارة وزوالها، فهذه الدول المذكورة كلها إنما نشأت وصعدت وتهاوت في كنف الحضارة الإسلامية التي لم تتأثر بالضرورة بنشوء دولة وسقوط أخرى. وعليه فالدول في اصطلاحه هي عهود الأسر الحاكمة وليست الحضارة ولا حتى الدولة بمفهومها المعاصر.)

لكن الإمبراطوريات تعاند وساعتها يبلغ العنف مداه، وذلك ما حدث لكل الإمبراطوريات سابقاً، منها الإمبراطورية الرومانية في العالم القديم

والواقع أن الإمبراطوريات الكبرى في التاريخ لا يهزمها خصومها في صراعات مباشرة إلى النهاية، وإنما تتولى هي هزيمة نفسها بالإفراط في استعمال القوة وفي الغرور، إذ تعجز عن مسايرة التطور وتتصور قدرتها غالبة إلى الأبد).

والمتأمل حال العالم الغربي والأنظمة الرأسمالية اليوم يجد أنها تعيش في مشكلات داخلية بدأت تظهر على السطح وتطفو، وتشهد تغيرات وتحولات كبيرة بسبب الأزمة المالية التي نتجت من انخفاض أسعار النفط وانتشار جائحة كورونا، فضلاً عن كونها مجتمعات قائمة على الفكر الفردي والنظرة المادية، فالرأسمالية تقوم على أساس فصل الدين عن الحياة، وهذه الفكرة هي عقيدتها، وعلى أساس هذه القاعدة الفكرية كان الإنسان هو الذي يضع نظامه في الحياة، ولهذا كان لابد عندهم من المحافظة على الحريات للإنسان، وهي حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الملكية والحرية الشخصية

والديمقراطية التي أخذ بها هذا المبدأ آتية من جهة أن الإنسان هو الذي يضع نظامه، ولذلك كانت الأمة عنده مصدر السلطات، فهي التي تضع الأنظمة، وهي التي تستأجر الحاكم ليحكمها وتنزع الحكم منه متى أرادت، وتضع له النظام الذي تريد، لأن الحكم عندهم عقد إجارة بين الشعب والحاكم ليحكم بالنظام الذي يضعه له الشعب ليحكمه فيه.

فأحداث أميركا والعالم الغربي تدعونا للتساؤل: هل وصلت الرأسمالية والعالم الغربي إلى مرحلة السقوط الحضاري والانهيار؟ وهل ستكون معارضة الشعب الأميركي لسياسات حكوماته أحد العوامل الداخلية التي تؤدي إلى ضعف أمريكا وانكماش نفوذها وانحساره في العالم والشرق الأوسط تحديداً؟ ولو فرضنا ذلك: من هي القوى المرشحة للدخول بنفوذها إلى الشرق الأوسط بدلاً من أمريكا؟ أم سيعود الشرق الأوسط والعالم الإسلامي إلى قيادة العالم بما لديه من عقيدة ينبثق منها نظامها فتستطيع أن تحقق السعادة للبشرية، بعد أن طغت الروح المادية على العالم وانهارت القيم الأخلاقية؟

بالتأكيد العالم اليوم يحتاج إلى من يحمل مشروعاً حضارياً مبنياً على عقيدة ينبثق منها نظامها، تكون له القدرة على حل المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجه الأمة، ويعمل على توحيدها تحت راية الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

المصادر:

١-(جريدة الرياض السبت ٢١ رمضان ١٤٣٥ هـ - ١٩ يوليو ٢٠١٤م - العدد ١٦٨٢٦) سقوط الحضارات: التآكل يبدأ من الداخل.

٢-https//:annabaa.org/arabic/ ١٨٣٨٣/ شبكة النبأ المعلوماتية.iraqipress

٣-خالد فؤاد طحطح، في فلسفة التاريخ.

٤-محمد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق.■

أين أمة الإسلام من حرب المعادن النادرة

م. موسى عبد الشكور-فلسطين

تتصدر الأخبارَ في هذه الأيام عناوينُ كثيرة متعلقة بالمعادن النادرة مشيرة إلى تنافس شديد لامتلاكها والتحكم بها، أو قل إلى حرب اسمها حرب المعادن، فما المعادن النادرة؟ ولماذا هذا التسابق وما وراء ذلك، ولماذا تقع في قلب الحرب التجارية التي قد تتطور إلى عسكرية؟ ولماذا هذا التحرك الكبير لرئيس أكبر دولة في العالم يطير من دولة لأخرى ويهدد ويتوعد ويعقد الصفقات والاتفاقات للحصول على المعادن النادرة؟

فمع التطور الصناعي والتقدم التكنولوجي والتحول العالمي نحو عالم أقل ضررا، يتزايد الإقبال على بعض المعادن الأرضية قليلة الانبعاثات الملوِثة للبيئة والتي تُعد عنصراً أساسياً في أهم الصناعات المتقدمة التي يعتمد عليها العالم بشكل متزايد، مثل ما هو من متعلقات الإنترنت، والأبحاث الطبية، والأسلحة المتطورة والاتصالات المتقدمة، ومن هنا كان الاعتماد الكبير على أنواع من المعادن سميت بالمعادن بالنادرة لأنها محدودة في العدد وأماكن التواجد والتصنيع والتوريد.

والمعادن الأرضية النادرة عبارة عن مجموعة مكونة من ١٧ عنصرًا معدنيًا، لها مجموعة من الخصائص الفيزيائية والكيميائية أو المغناطيسية والبصرية المحفزة للطاقة التي تجعلها ذات قيمة عالية، إذ تستخدم في مجالات مختلفة، وفي مجموعة واسعة من الصناعات الحيوية، منها الاستهلاكية مثل الهواتف الذكية، وشاشات التلفزيون، وأجهزة الكمبيوتر، وفي مجال الطاقة النظيفة مثل محركات السيارات الكهربائية وتوربينات الرياح، ومنها المجالات العسكرية مثل أنظمة الصواريخ، والطائرات المقاتلة الحديثة والمعدات العسكرية. وكذلك في صناعة بطاريات السيارات الكهربائية والصناعات المتعلقة بالأجهزة الطبية والزجاج والليزر والإضاءة وأجهزة الحواسيب، والإنسان الآلي «الروبوت».

ومن ناحية أخرى فإنها تسمى نادرة لصعوبة استخراجها وتعقيد عمليات فصلها وتكريرها واستخراجها تجارياً لوجودها ضمن مواد معقدة التركيب، كما أن عدد الدول القادرة على تكريرها ومعالجتها محدود للغاية، مع أن بعضها موجود بكميات كبيرة أكثر من النحاس مثلا، لكنها ألحقت بالمعادن النادرة لأن استخراجها بكميات صغيرة يتطلب إزالة العديد من الأطنان من الركام والصخور، ما يسبب تلوثا بيئيا وتكلفة عاليين، ثم يأتي فصل المعادن، ثم تحضيرها لاستخدامها، وقد استطاعت الصين تقليل تكلفة الانتاج لبعضها بمقدار ٣٠٪ أقلّ من أيّ دولة أخرى، ما جعل الصين مصدرا لها. ومن هنا استشرفت الصين التي ركزت على الصناعات المتقدمة من بداية التسعينيات في القرن الماضي وأدركت أهمية المعادن النادرة في الصناعات الحديثة والذكية، فاستثمرت في

تطوير تكنولوجيا استخراجها، وفصلها عن بقية المعادن وتكريرها، حتى هيمنت بنسبة ٩٠٪ على الإنتاج العالمي مع مطلع القرن الحادي والعشرين، مستفيدة من انخفاض أجور اليد العاملة، وعدم تشدد البلاد في شروط الحفاظ على البيئة، ما أتاح تصدير الفائض من إنتاجها بأسعار تنافسية، لذلك هيمنت الصين على صناعة المعادن النادرة.

وهذه المعادن لها خصائص فريدة تجعلها لا غنى عنها في الصناعات المتقدمة: حيث إن المعادن الأرضية النادرة حين استعمالها في الأدوات عالية التقنية يمكنها أن تجعلها أصغر وأرخص وأخف وزنًا، ويتيح أيضا تحسين جودة التقنيات المتعددة، وهنا خصائص مغناطيسية قوية لها تُستخدم في صنع مغناطيسات قوية وصغيرة الحجم، وهو ما يساهم في تصغير الأجهزة الإلكترونية وتقوية المعادن وزيادة جدواها.

ونتيجة للفكر الرأسمالي الاستعماري الجشع والمبني على الصراع والتنافس والاحتكار فقد دخلت هذه المعادن في قلب الصراع والدور الإستراتيجي بالنسبة للدول الكبرى، وأصبحت المعادن النادرة سلاحا تتسابق الدول الكبرى للسيطرة عليه، نظرًا لأهميتها في تأمين مكانتها الاقتصادية والسياسية. فالمعادن النادرة ليست مجرد مواد خام، بل هي أدوات قوة تعزز النفوذ في السوق التكنولوجي والاقتصاد العسكري. حتى إن بعض الدول أصبحت تفكر في إيجاد مصادر جديدة وغير تقليدية، مثل التعدين في أعماق البحار أو حتى على سطح القمر، لأن هذه المعادن أصبحت أحد أبرز سمات الصراع الجيوسياسي في العصر الحديث بين أكبر اقتصادين عالميين؛ وهما أمريكا والصين، لذلك أصبحت هذه المعادن أكثر من مجرد مورد اقتصادي، فقد باتت أداة للضغط السياسي بين واشنطن وبكين، فالصين تملك ٤٤ مليون طن من المعادن النادرة أي نصف احتياطي العالم من المعادن النادرة وتملك ٢٣ ضعفا مما تملكه أمريكا من هذه المعادن، وتسيطر الصين على حوالي ٧٠٪ من الإنتاج العالمي، وتحتكر أكثر من ٨٠٪ من عمليات التكرير والمعالجة، ما يمنحها قدرة هائلة على التأثير في سلاسل التوريد العالمية واستخدامها ورقةَ ضغط جيوسياسية. وكذلك فإن الصين تحتكر إنتاج سبع عناصر من المعادن النادرة الضرورية لتصنيع المغناطيسات الدائمة التي تلزم في مختلف الصناعات الحديثة، حيث تسيطر على ٩٠ بالمائة من إنتاج المغناطيسات الدائمة.

والأمر الآخر بالنسبة لأمريكا الذي يشكل تحدياً كبيراً في مجال معالجة المعادن النادرة هو أن الصين تهيمن على عمليات التعدين والتكرير عالمياً، ما يسبب مشكلة لأمريكا في استخراج العناصر النادرة ومعالجاتها؛ حيث تقوم بإرسال المواد المستخرجة إلى الصين لمزيد من المعالجة، بالإضافة إلى أن الصين فرضت قيودا على سبعة معادن نادرة تمثل عصب الصناعات المستقبلية.

وأما بالنسبة للضرائب فقد فرضت الصين

ضرائب على المعادن المصدرة لأمريكا وأوروبا ردا على فرض الضرائب الأمريكية ورفعها، ما سبب ارتفاعا في تكلفة إنتاج البضائع الأوروبية والأمريكية خاصة السيارات الكهربائية، ما أدى إلى تسريح مئات الآلاف من العمال، فأصبحت الصين تلبي ٩٠ بالمئة من سوق السيارات الكهربائية العالمي. كما أنها منعت بيع أي منتج تدخل فيه المعادن الصينية النادرة لكافة الصناعات التي تنتجها الدول الأُخر. كما وأنها فرضت قيودا على نقل تكنولوجيا التعدين والاستخراج للمعادن النادرة.

ومن جهة أخرى فقد أصبحت المعادن النادرة في صلب الصناعات العسكرية التي تعتمد على الذكاء الصناعي، فبدأت أمريكا بالتخوف من قدرات الصين العسكرية ووصولها إلى التفوق العسكري، حيث رفعت الصين الإنفاق العسكري إلى ٢٣٠ مليار دولار، وزادت من قوتها النووية فوصلت الى ٥٠٠ رأس نووي و٣٧٠ قطعة بحرية من سفن وغواصات بحرية، وكذلك طورت البرامج الفضائية والأقمار الصناعية العسكرية، حيث تحاول الصين تقليل الفجوة بينها وبين أمريكا في النواحي العسكرية، علما بأن طائرة أف ٣٥ الأمريكية تحتاج إلى ٤٥٠ كيلوغرام من المعادن النادرة.

لذلك فإن الصين بإمكانها تهديد صناعة الدفاع الأميركية والأوروبية إذا وضعت قيودا عليها، ما يجعل المعادن النادرة محور صراع جيوسياسي بين الولايات المتحدة والصين، ما يتيح فرصة للتفوق الصيني على أمريكا في مجال الدفاع والفضاء والسيارات والذكاء الصناعي، ما حدا بترمب لوصف الصين بأنها دولة شريرة وأنها تأخذ العالم رهينة، فكان منه أن رفع الضرائب على الصين ووعدها بالانتقام، فقامت الصين بردود مماثلة، عندها بدأ التراجع الأمريكي في التعامل مع الصين، وجرى لقاء بين الرئيسين الصيني والأمريكي والخبراء بعد أن غير ترمب لهجته وحولها إلى لهجة تصالحية، حيث وصف ترامب الرئيس الصيني شي بأنه «صديق قديم» تربطه به «علاقة جيدة جدًا» في تراجع ميكافيلي واضح.

ومن هنا فقد أصبحت العناصر النادرة عنصرا إستراتيجيًا دخل لعبة التنافس بين القوى الكبرى: الصين، والولايات المتحدة، واليابان، والاتحاد الأوروبي، حتى أنهم قاموا برفع دعوى ضد الصين في منظمة التجارة العالمية بأن الرسوم الجمركية والحصص التصديرية التي فرضتها الصين على المعادن النادرة مخالفة لقواعد المنظمة للتجارة العالمية، حيث ثبت أن الاعتماد على الصين خطر إستراتيجي، فشرعت الدول الكبرى باتخاذ خطوات لفك ارتباطها بسلاسل التوريد الصينية بالتنقيب محليا والبحث عن مصادر أخرى في إفريقية، في دول غنية بالمصادر مثل الكونغو ومدغشقر وناميبيا ونيجيريا. كما عملت بعض الشركات على تطوير طرق لاستعادة المعادن النادرة من الأجهزة الإلكترونية القديمة ومحاولة إيجاد بدائل صناعية وعناصر بديلة للمعادن النادرة، لتقليل الاعتماد على الصين.

وقد حاول الرئيس الأمريكي دونالد ترامب السيطرة على جزيرة جرينلاند التابعة للدنمرك والغنية بالمعادن النادرة، وقامت أمريكا بعقد صفقة مع الباكستان التي تمتلك ٩٢ معدنا مختلفا تشمل معظم مساحة باكستان مقابل استثمارات أمريكية فيها. وفي المغرب عقدت اتفاقا بشأن المعادن النادرة، تبلغ قيمته ٦٠ مليار دولار، مقابل اعتراف أمريكا بتبعية الصحراء المغربية للمغرب ودعمها في مجلس الأمن ضد الجزائر التي عرض سفيرها في واشنطن استعداد بلاده لمناقشة صفقة مع الولايات المتحدة بشأن مواردها من المعادن النادرة على غرار أوكرانيا. أما أوكرانيا فقد عقدت معها اتفاقيات بشأن المعادن النادرة بقيمة نصف ترليون دولار مقابل إعمار البلاد بعد الحرب الروسية الأوكرانية. كما عقد اتفاقات مع اليابان لتوريد ١٦ مليون طن. وعقد صفقة مع ماليزيا بقيمة ١٨,٥ مليون طن من المعادن النادرة. أما أفغانستان - وهي واحدة من الأراضي المليئة بالمعادن النادرة- فإن أمريكا وبعد هزيمتها وفرارها منها تحاول اليوم الدخول إليها واستعادة قاعدة باغرام العسكرية من أجل استغلال المعادن والنشاطات العسكرية وتأمين طرق إمداد للمعادن النادرة التي تمر عبر أفغانستان. وأما السودان فإن حقولها حافلة بالمعادن النادرة التي تستخدم في الصناعات الإستراتيجية، وإن أحد أهداف الحرب الأهلية التي أشعلتها أمريكا محاولة الاستحواذ الكامل على الثروات والمعادن النادرة وطرد منافسيها والعمل لتجزئة السودان وفصل دارفور الغنية بالثروات واستقلالها لاستغلالها. ولا ننس إثارة المشكلات لكل دولة غنية بالثروات، مثل ما تثيره ضد نيجيريا بذريعة قتل النصارى، أو فنزويلا الثرية بالثروات بذريعة تهريب المخدرات، وقبلهما العراق، وقد عقدت أمريكا مع أستراليا عقدا بشأن المعادن النادرة إذ تملك ٥,٧ مليون طن.

أما في تركيا فقد أعلن أردوغان أن هناك ٦٩٤ مليون طن من الموارد، تشمل بالدرجة الأولى المعادن النادرة، وقال إن تركيا يوجد فيها ١٠ من أصل ١٧ عنصرا نادرا، على نحو ١٢,٥ مليون طن من أكاسيد المعادن النادرة، وأضاف إن استخراجها يتطلب تعاوناً دولياً. وأما أوروبا فإنها تعتمد على الصين غالبا في الحصول على المعادن النادرة رغم وجود بعض الاحتياطيات غير المستغلة في أوروبا، فالإنتاج المحلي لا يغطي سوى جزء ضئيل من الطلب، ويواجه تحديات بيئية واجتماعية تعيق تطويره.

هذا واقع الصراع الاقتصادي على المعادن النادرة، مع أن الله تعالى قد أوجدها ليس للصراع والحروب وإنما لخدمة البشرية، فقد سخر الله تعالى ما في السموات والأرض وقد وضعها الله سبحانه وتعالى خدمة للبشرية وخدمة لمصالحهم وتلبية لاحتياجاتهم المختلفة، حيث امتلأت الأرض بالمناجم والمواد الخام التي تحتاجها العديد من الصناعات. فإذا استُخدمت وفق ما أمر الله تعالى كان الخير للبشرية جمعاء، حتى في سنة التدافع التي

تستخدم القوة والحديد والبأس الشديد لنشر الدين ومنعا لتغول الكفار وحماية للمسلمين وثرواتهم وأعراضهم.

وكذلك فقد فرق الله تعالى هذه المعادن والثروات في الأرض وفق مشيئته، فلم يوزعها بشكل متساو، ولكن طبيعة البشر والطمع والتنافس وحب السيادة جعلها مكان منافسة بين الحكومات للوصول إلى هذه الموارد واستغلالها، وعلى مر التاريخ. يقول الله في سورة الحديد عن أهمية الموارد المعدنية واستخداماتها:﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد٢٥). لذلك فإن الإسلام قد حدد كيفية استخدام مقدرات الأمة وطاقاتها وثرواتها لأمرين؛ الأول: استخدام المعادن في إقامة دين الله ونشره، وثانيها: استخدام المعادن لتلبية حاجات البشرية وتأمين مصالحها.

والعالم الإسلامي قد حباه الله تعالى ثروات هائلة، وهذا أمر لا نقاش فيه، حيث تملك البلاد الإسلامية ثروات هائلة وكثيرا من المعادن الثمينة النادرة، ولكنها غير مستغلة من قبل الأمة، فلا بد من استثمارها من قبل المسلمين. وقد أصبح التعدين والمعادن النادرة والثروات الطبيعية قضية سياسية بين الدول العظمى. ومن هنا كان لا بد من مواجهتها والرد عليها من خلال دولة عظمى، وهذا لا يتأتى إلا باجتماع الأمة والخلاص من حكامها وإقامة الخلافة الإسلامية، لمواجهة الصين وأمريكا وأوروبا وروسيا، وجميع القوى الطامعة في خيرات الأمة، ولإنهاء الحرب التي تشنها على العالم الإسلامي من طريق قادته العملاء. ولا بد من التنبيه إلى حقيقة دامغة، وهي أن الاستخدام الصحيح والفعال للثروة وللمعادن النادرة والمواد الطبيعية المعدنية في العالم الإسلامي أمر شبه مستحيل في غياب أحكام الإسلام وتسلط الكفر.

وقد بين الإسلام القواعد الفقهية الأساسية للاقتصاد والمِلكية، فقسم المِلكية إلى ثلاث فئات: الملكية الفردية، وأملاك الدولة، والممتلكات العامة. وتقع الموارد الطبيعية والجوفية التي تأخذ صفة العِدّ الذي لا ينقطع مثل النفط والغاز ومعادن الذهب والحديد واليورانيوم والليثيوم والعناصر الإستراتيجية والنادرة الأخرى بوضوح في الممتلكات العامة. وبيّن أن هذا النوع من الممتلكات يمنع أن يحوزه الأفراد، وليس هو مِلكا للدولة، بل هو ملك للأمة الإسلامية، وترعى بصفتها مصالح عامة للمسلمين، بخلاف النظام الرأسمالي في نظرته إلى ملكية الموارد الطبيعية وطريقة استخراجها. ففي النظام الرأسمالي الغربي تصبح الموارد الطبيعية مثل النفط والغاز والمعادن ملكية حصرية من خلال عمليات مثل «الخصخصة» أو الامتيازات الممنوحة للشركات الكبرى المحلية أو الأجنبية الكبيرة.

ولا بد من التذكير بأن تسليم ثروات الأمة أو خصخصتها أو منح الامتيازات التي تعطى للدول والشركات العابرة للقارات في إطار النموذج الاقتصادي الرأسمالي هو كارثة سياسية

واقتصادية كبرى، وهو أحد أساليب الاستعمار وربط اقتصاديات الدول الفقيرة باقتصاديات القوى العالمية والمؤسسات الدولية الاستعمارية، كما في تجربة الدول الإفريقية وأمريكا اللاتينية ودول العالم الإسلامي حيث لم يحقق دخول الشركات الأجنبية تقدما اقتصاديا، بل تسبب أيضا في عدم الاستقرار السياسي وانتشار الفساد ونهب الموارد والقضاء على الاستقلال الاقتصادي والسياسي. وكذلك فإن إعطاء ثروات الأمة بأي أسلوب للدول الاستعمارية من طريق شركاتها أو من طريق المؤسسات الدولية ليس فقط غير شرعي من وجهة نظر الإسلام، وإنما هو أيضا من الناحية السياسية والأمنية خطأ كبير وانتحار سياسي. والإسلام يحرم أي نوع من التعاون الاقتصادي الذي يؤدي إلى تقوية أعداء الإسلام أو سيطرة الكفار على موارد المسلمين أو يتسبب بتبعية الأمة الإسلامية.

وكذلك فإن الإسلام يحرم دخول الشركات الاستعمارية إلى الأراضي الإسلامية تحت غطاء استخراج الموارد الطبيعية، لأنها ليست في الواقع شركات تجارية، بل هي تابعة لأجهزة سياسية واستخباراتية وعسكرية تسعى إلى تحقيق أهداف استعمارية، ولأن ذلك يعتبر تعاونا مع العدو وتقوية له، وهو يشبه تسليم السلاح للعدو أثناء الحرب، وخاصة الدول التي تعدّ دولا محاربة للمسلمين مثل الصين وأمريكا وأوروبا وروسيا وغيرها من القوى الاستعمارية، فهذا يعد مساعدة للأنظمة المعادية للإسلام.

وعلى هذا فإن على الأمة الإسلامية استغلال ثرواتها بنفسها ومعالجتها وتعدينها، فالمطلوب إنشاء بنية تحتية صناعية للمعالجة والتعدين، لما لها من فوائد سياسية واقتصادية عظيمة، فالإسلام ليس مجرد دين عبادة فقط، وإنما هو طريقة عيش متميزة، حيث يقدم قواعد واضحة وعادلة وإنسانية، حتى في أصغر الأبعاد السياسية والاقتصادية ومصلحة الأمة، بما في ذلك المعادن.

أخيرا، إن الصراع حول المعادن النادرة سيظل محتدمًا في المستقبل، وسيكون مستقبل الذكاء الصناعي مرهونًا بقدرة الدول على تأمين هذه الموارد الإستراتيجية. ومع تصاعد التنافس بين الولايات المتحدة وأوروبا والصين، يصبح الأمن التكنولوجي والاستقلال الاقتصادي مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالقدرة على الوصول إلى هذه المعادن. لذلك نجد أمريكا تفرض منظومتها العالمية من عولمة وخصخصة وقرصنة من خلال التلويح باستخدام القوة أو من خلال أدواتها؛ صندوق النقد الدولي والأمم المتحدة، تحت ما يسمى بالاستثمار والتعاون، وغيرها من الأدوات والأساليب الاستعمارية، لتدخل من طريقها في البلدان لنهب ثرواتنا.

ومن الجدير ذكره أن التنافس بين القوتين لا يقتصر على التجارة، بل يمتد إلى الذكاء الاصطناعي والطاقة النظيفة والدفاع. هذا الصراع أدى إلى عدم الاستقرار، ما جعل الذهب ملاذا آمنًا، ما أدى إلى ارتفاع سعره وتباطؤ عجلة الاقتصاد والتنمية.

وستسعى الولايات المتحدة إلى إنشاء

تحالف دولي لتقويض احتكار الصين، فيما يُعرف بـ»تحالف الردع». وستعمل على تنويع مصادر المعادن النادرة من دول أُخر بأية وسيلة متاحة، ولو بالقوة، وستحاول تطوير تقنيات وإعادة التدوير، وستحاول إيجاد مصانع محلية لاستخراج المعادن النادرة المتوفرة ومعالجتها، رغم التحديات البيئية والتكلفة العالية.

وعلى الصعيد السياسي فإن أمريكا تعمل على استمرار إثارة قضيتين للضغط على الصين؛ قضية تايوان وقضية كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، لتشتغل بنفسها ولمنعها من دخول منطقة الشرق الأوسط، وستدفع بعملائها في الشرق الأوسط مثل حكام تركيا والسعودية ومصر كلاعبين للحفاظ على هيمنتها وفق خطة هنري كيسنجر التي تقضي بأن من يسيطر على الشرق الأوسط يستطيع أن يتحكم بالسوق العالمي وطرق إمدادات الطاقة.

وكانت أمريكا قد أخرجت الصين من الحرب الأوكرانية الروسية وأضعفت دورها لأهداف سياسية واقتصادية، وأبعدتها عن روسيا عندما خشيت الصين أن تطالها العقوبات وتُفرض عليها كما فرضت على روسيا، وقد أمسكت بكل الخيوط السياسية في الحرب وأضعفت أوروبا وجعلت من نفسها اللاعب الرئيس، بحيث لا تستطيع أوروبا اتخاذ أي قرار ضد روسيا إلا بموافقتها، مع العلم بأن أمريكا اليوم أضعف من أي وقت، فهي ليست أكثر من شرطي عالمي متغول، وهي الآن تريد الخروج من أزماتها الداخلية، كالبطالة والمديونية العالية، فهي لا تستطيع إنشاء حرب مع الصين، ولا تستطيع الدخول في سباق تسلح معها، لذلك فالوضع الراهن مُواتٍ للصين للتسابق وتفعيل البرامج النووية لتكون نِدّا لأمريكا، وكذلك فإنها فرصة لأمة الإسلام لتعيد عافيتها ووحدتها وقيادتها للعالم، وتتحول من وقود حرب ومكان صراع إلى بطل في المسرح العالمي.

وعلى هذا فإن الأمة الإسلامية في قلب الصراع، لذلك يجب أن تجتمع وتقيم الخلافة الراشدة، ويجب أن تبحث عن المعادن النادرة وغيرها لاستغلالها، وهو من باب الرعاية ومن باب الإعداد لإرهاب العدو، فقد رأينا الحظر المفروض على العالم الإسلامي في مجال امتلاك السلاح الفعال بتزويد القوات المسلحة في البلاد الإسلامية سلاحا فاسدا أو محدود الفعالية، ولا يوجه إلا كما يأمر ويشترط الصانع والمورد.

لذلك فإنّه يجب على الدولة أن تكفل وجود مراكز للبحث، تمكّن الصناعة في دولة الخلافة من جعلها رائدة على مستوى العالم، وسينطوي هذا على استثمارات كبيرة من قبل الدولة، وربط الصناعة بالبحث الجامعي، لتلبية متطلبات الدولة من مهندسين في كل المجالات وبخبراء ومخططين في التصنيع بكل أنواعه. بالإضافة إلى ذلك على الدولة أن تشجع مؤسسات القطاع الخاص، للعب دورها في مجال البحث والتطوير والإبداع والمنافسة.

إنّ سعي دولة الخلافة لأن تكون دولة صناعية، يتطلب أن توجد الصناعة الثقيلة مثل صناعة المحركات والآلات الصناعية، أي «مصنع

المصانع»، فهي محرك الصناعة الإستراتيجية، وأن توجهها لصالح الأمة وتفوقها على كل الأمم. وكما تعلمون فإن البلاد الإسلامية قادرة لو اجتمعت على أن تتحوّل من تابعٍ إلى مؤثرٍ في معادلة القوى العالمية.

فالبلاد الإسلامية تملك المبدأ الصحيح والمساحة الجغرافية، والموقع الإستراتيجي، والموارد الطبيعية، والقدرة البشرية الهائلة، لكنها تحتاج إلى مشروعٍ جامعٍ يوحّد إرادتها، ويحرّر قرارها السياسي والاقتصادي من الهيمنة الخارجية.

ولقد تبنّى حزب التحرير في مقدمة الدستور موادّ تبين المِلكيات العامة وأنواعها واستغلالها وكيفية الانتفاع بها، وتبنّى في قضية امتلاك المصانع ودوائر التصنيع العسكري، سواء أكانت صناعة ثقيلة كصناعة المحركات والآلات وهياكل المركبات والمواد الإلكترونية وصناعاتها. كما وتبنى موادّ منع فيها الدولة أن تحوّل ملكية فردية إلى ملكية عامة، لأن الملكية العامة ثابتة في طبيعة المال وصفته لا برأي الدولة.

ولا يجوز للدولة أن تأذن لأحد دون باقي الرعية بملكية الأملاك العامة أو استغلالها. وهي التي تستطيع التحكم بالأسواق العالمية لأنها تملك المبدأ الصحيح والصالح لسعادة البشرية، وهي الكفيلة بإعادة صياغة مفاهيم الاقتصاد والتجارة والعدل وصالح البشرية.

كذلك فهي التي تسيطر على معظم ثروات العالم في أراضيها، فهي التي تستطيع فرض شروطها وهيمنتها على جميع المعادن النادرة، لقوة اقتصادها، ولحاجة الدول لها ولثرواتها، ولموقعها الإستراتيجي وسيطرتها على طرق إمدادات الطاقة بفضل اتساع مساحتها وكثرة ممراتها المائية.

وأخيرا، وبالنسبة للتوقعات في حرب المعادن فإن الدول الكبرى ستظل تلهث وراء المنافع المادية حتماً. ومن غير المرجح أن تنتهي الحرب التجارية قريباً، بل يُتوقع أن تتحول إلى صراع طويل الأمد ومتعدد الأبعاد يشمل الاقتصاد والتكنولوجيا والأمور العسكرية وحتى النفوذ الجيوسياسي، ويمكن للدول الصغيرة أن تستفيد من هذا الصراع وكذلك بعض الأفراد، لكن الصراع لن يتوقف.

فالمستقبل في قبضة من يمتلك المعادن النادرة، وسيستمر السباق الإستراتيجي لتأمين النفوذ العالمي، حيث تحاول الدول الكبرى إعادة رسم خريطة سلاسل التوريد، لضمان أمنها القومي وتقليل اعتمادها على الصين

وقد يتجاوز الأمرُ التنافسَ إلى حروب غير اقتصادية إن لم توجد حلول بديلة. فكل الحلول ستكون مؤقتة إلى أن يأتي الحل الجذري مع عودة الخلافة الإسلامية، لتخلص العالم من شرور الرأسمالية التي أشقت العالم، ولتُوقِف التسلط والظلم والاستعمار، فالخلافة ستجعل دافع الصراع الدولي هو حمل المبدأ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وصالح البشرية، لا الركض وراء المنافع وتجييرها للأمور الشخصية وانتشار الحرمان والاحتكارات العالمية.■

الجدل في صفات الله تبارك وتعالى

لقمان حرزالله

يدور في أوساط شباب المدارس والجامعات في هذه الأيام جدل حول صفات الله تبارك وتعالى، ولعل النشاط الذي قام به بعض المشايخ على وسائل التواصل الإلكتروني حول مسألة صفات الله تبارك وتعالى أثار هذه القضايا في أوساط الشباب لمتابعتهم الدائبة لوسائل التواصل هذه. ولعلنا في هذه المقالة القصيرة نلفت انتباه الشباب إلى كيفية تناول هذا الموضوع، وفهمه فهما صحيحا.

قبل أن نتحدث عن صفات الله تبارك وتعالى، لا بد أن يتبادر إلى أذهانكم سؤال مفاده: ما غاية هؤلاء الناس من إثارة مسألة صفات الله؟ هل غايتهم هداية الناس إلى الصواب؟ أم غايتهم تقسيم الأمة وجعل كل قسم ينظر إلى أخيه باعتباره عدوا؟

إن الغرب يدرك إدراكا تاما أنه لا يقوى على أمة الإسلام إذا ما اتحدت على أساس دينها، فقد جربها الروم في اليرموك، وجربها الفرنجة في الزلاقة، وجربها الصليبيون في حطين، وجربها التتار في عين جالوت، وها هي أمريكا تعاني في مجابهة الأمة وهي مجزأة، فما بالكم إذا اتحدت! فأي خطة هي أعظم بالنسبة لأمريكا وأحسن نتاجا من خطة تفريق الأمة فرقا وتمزيقها مزقا؟!

وإن أمريكا لا تستطيع أن تفرق الأمة من خلال وجه استعماري بغيض، بل تقدم إليها وجوها محلّيّةً لها سَمْتُ أهل الدين، يبثون الفرقة في الناس – بقصد أو بغير قصد – من خلال بث الطائفية وإحياء ما اندثر من فرق علم الكلام، فإذا انتشر رأي هؤلاء بين الناس، اختلف الناس اختلافا شديدا بين من يثبت لله يدا ومن ينفيها عنه، فيُكفّر الواحد منهم أخاه ويبتعد من الفهم الصحيح الذي علمنا إياه رسول الله ﷺ وطبقه صحابته ﷺ من بعده رضوان الله عليهم أجمعين.

فيا ليت هؤلاء الذين يشغلونكم بمسائل أهل الكلام ينشغلون بإحياء الأمة وإقامة الخلافة وتحكيم شرع الله، فإن رسول الله ﷺ لم يشغله شيء عن إقامة دولة الإسلام حتى أقامها، فقولوا لكل من يحاججكم في صفات الله عز وجل، أين أنت من قول رسول الله ﷺ: **(ومَن ماتَ وليسَ في عُنُقِه بَيعةٌ ماتَ مِيتةً جاهِليَّةً)** [صحيح مسلم، ١٨٥١]، قولوا لهم أين أنتم من قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة، ٥٠] فهؤلاء الذين يشغلون بالكم بهذه المسائل يعيشون في

كنف الحكام ولا ينكرون عليهم، ويرون باطل الحكام ولا ينهونهم عنه، ويعلمون أن هؤلاء الحكام ليسوا بأولياء أمور للمؤمنين فلا يبالون بغياب البيعة من أعناقهم، كل همهم أن يلهوكم عن واجبكم تجاه أمتكم بتحريرها من براثن الاستعمار ونير الحكام ونقلها إلى رياض الإسلام بتحكيم شرع الله، وكيف يلهونكم؟ يلهونكم بأقوال البشر عن قول المعصوم، يلهونكم بمباحث الأمة إبان تيهها عن مباحث الأمة إبان نهضتها على يد رسول الله ﷺ.

إن الأمة الإسلامية حين نهضت على يد رسول الله ﷺ أحياها الله تبارك وتعالى بالوحي، وعلمها رسول الله ﷺ كيف تفهم هذا الوحي فبين لها مجمله، وفسر لها ما استشكل عليها في الفهم، فقد قال الله تبارك وتعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١﴾ [الطلاق، ١٠-١١]، وقال تبارك وتعالى:﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل، ٤٤]، فكان رسول الله ﷺ تنزل عليه آيات العقيدة فيبثها في قلوب أصحابه رضوان الله عليهم، فينطلقون للعمل لإعزاز دين الله لا ترهبهم زبانية قريش ولا طغيانها، يقوم أحد ضعفائهم يزأر في ساحة الكعبة بقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن، ١-٤] ولا يبالى باجتماع طغاة قريش عليه وضربهم له، ويقوم الآخر ينافح عن ربه تبارك وتعالى، يغضب أن يقال عن نعيم الله في جنته إنه زائل، فيقول للقائل: **(كذبت، نعيم الجنة لا يزول)** ولا يبالي بعينه التي فقدها في ذلك الموقف لأجل الله، وتملأ العقيدة صدر مستضعف آخر منهم فيبدو أمام سيده الذي يعذبه كالجبل الراسي، ويبدو سيده كذباب يحاول في الجبل أن يزحزحه فلا ينطق لسان الجبل إلا بقوله: **(أحد أحد)**. لم يكن رسول الله يعلمهم في ذلك الوقت فلسفة اليونان مع أنها كانت معروفة في ذلك الزمان، بل كان يعلمهم عقيدة الإسلام صافية نقية فيتحولون إلى جبال شامخة لا يزحزحها شيء عن طريق إقامة دين الله حتى أقاموه رضي الله عنهم أجمعين.

فيا شباب، قولوا لي بالله عليكم، هل قام أحد دعاة إحياء ما اندثر من علم الكلام بالوقوف في وجه الحكام كما فعل بلال وعثمان وعبد الله بن مسعود، فإن لم يدفعهم فهمهم للعقيدة إلى الوقوف في وجه الباطل، فكيف لهم أن يدّعوا أنه لا أحد غيرهم قد فقه عقيدة الإسلام؟!

فحين أنزل الله على نبيه قوله تبارك

وتعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[النحل، ١٥-٢٣] لم يبحث الصحابة مسألة علم الله تعالى، هل علم الله من ذات الله أم ذات منفصلة عنه أم لا هو هو ولا هو غيره! ولم يبحث مسألة الخلق أنها خلق للذوات أم خلق للأفعال إضافة إلى خلق الذوات، بل فقهوا أن الله هو الذي خلقهم وخلق الكون والإنسان والحياة، وأنه تبارك وتعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ويعلم سرهم وعلانيتهم، وانطلقوا يعملون، فاتسق فهمهم لهذه الآيات مع الآيات التي تليها تطلب منهم العمل:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل، ٣٦] وابتغوا الأجر من الله تعالى على صبرهم على الدعوة إلى الله كما ذكر سبحانه في الآيات التي تليها: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل، ٤١-٤٢]، وعلموا أن الأمر كله لله فإن شاء عذب المشركين الذين لم يستجيبوا لدعوتهم كما في الآيات التي تلتها، ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل، ٤٥-٤٧] واطمأنوا بعملهم الصالح وصبرهم عليه بقول الله في الآيات التي تليها:﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل، ٩٦-٩٧] فهذا نموذج من الآيات التي كانت تنزل في مكة تثبت العقيدة في قلوب المؤمنين وتدفعهم إلى العمل لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، فأكرمهم الله تبارك وتعالى بإقامة دينه في دولة امتد خيرها إلى الشرق والغرب من العالم القديم، هكذا تعامل هذا الجيل مع القرآن، على طريقة رسول الله ﷺ وليس على طريقة فلاسفة اليونان.

ثم لما دار الزمان وانتشرت الفتوحات بدأ المسلمون يواجهون الأفكار الجدلية، فقد كان

أهل الكتاب يتسلحون بها ضد المسلمين؛ لا ليبينوا حقا ولا ليتبعوا صدقا، بل ليلبسوا على المسلمين أمر دينهم، فعمدوا إلى فلسفات اليونان وصاروا يناقشون المسلمين بها، فنشأت مجموعة من المسائل لم يُثِرها أحد في عهد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، ومن بينها التفكر في ذات الخالق وصفاته، وعلى إثر ذلك نشأت فرق مختلفة من المسلمين أطلق عليهم علماء الكلام، وكان من بينهم المعتزلة والجبرية، ثم الأشاعرة الذين سمّوا أنفسهم أهل السنة والجماعة.

لقد تاهت هذه الفرق كلها، ولم تهتد إلى الطريق القويم الذي به يفهم القرآن ومن خلاله تقوم الحجة، وذلك لعدة أسباب، منها: أنها بدلا من أن ترجع إلى طريق القرآن القويم في الرد على أهل الكتاب، راحوا يدرسون الفلسفة اليونانية ويردون من خلال نماذجها على أهل الكتاب، ثم يستدلون على آرائهم بالأدلة التي توافقهم ويؤلون تلك الأدلة التي تخالفهم من الكتاب والسنة. ومنها: أنهم أطلقوا العنان لعقولهم فبحثوا فيما تدرك العقول وفيما لا تستطيع العقول إدراكه، فالعقل يدرك وجود الله تبارك وتعالى ولكنه يعجز عن إدراك ذاته جل وعلا، وقد قال الله تبارك وتعالى:﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام، ١٠٣] فذات الله تبارك وتعالى لا تقع تحت حس البشر، فكيف للعاجز المحدود أن يدرك ذات القادر المطلق الذي لا يحده حس، لا إله إلا هو.

والفهم الصحيح لا بد أن ينطلق من تمييز ما يمكن للعقل التفكير فيه مما لا يمكن له التفكير فيه، فالعقل يستطيع الإدراك إذا اجتمعت له خصال أربع: واقع، وحس، ودماغ صالح للربط، ومعلومات سابقة عن الواقع. فإذا لم يتمكن العقل من إدراك واقع ما بالحس، أو لم يكن الواقع مما تدركه الحواس فإنه لن يتمكن من إدراكه، وصفات الله ليست واقعة تحت الحس، بل هي مما بلغنا بالخبر الصادق، فقد بلغنا عن ربنا تبارك وتعالى أنه سميع بصير عليم، في قوله تعالى:﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٢٨﴾[لقمان، ٢٨]، وقوله تبارك وتعالى:﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ [الملك، ١٣] فنفهم منها أن الله يسمعنا ويرانا ويعلم سرنا وعلانيتنا، ولا تستطيع عقولنا أن تبحث في ذات الله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف يعلم؟ وهل سمعه جزء من ذاته أم لا؟ أم لا هو من ذاته ولا هو من غيره؟! وغير ذلك.

والفهم الصحيح لا بد أن ينطلق من أن الإيمان بصفات الله تبارك وتعالى لا تؤخذ إلا من النص القطعي فالإيمان لا يجوز أن ينبني على الظن، قد قال تبارك وتعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ

وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ [النجم، ٢٧-٢٨] فإن القرآن نعى على مشركي مكة أنهم وصفوا الملائكة بأنهم إناث؛ ثم أشار إلى أنهم لم يبنوا إيمانهم هذا على دليل قاطع.

والفهم الصحيح لصفات الله تبارك وتعالى لا بد أن ينطلق من قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى، ١١]، وقوله تعالى:﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام، ١٠٣]، وقوله جل وعلا:﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ [الصافات، ١٨٠]

والفهم الصحيح لصفات الله تبارك وتعالى لا بد أن ينبني على قواعد اللغة العربية في الفهم وليس حسب مقتضيات المنطق، فنفهم الصفة التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه بالقدر الذي ذكره عن نفسه، فحين يخبرنا عن نفسه تبارك وتعالى بأنه عليم، نفهم من ذلك أن الله يعلم ما نخفي وما نعلن، ونفهم من ذلك أن الله يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا، وهذا الفهم لأن الآيات جاءت دالة عليه، فقد قال ربنا تبارك وتعالى:﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران، ٣٤]، وقال:﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ [إبراهيم، ٣٨] وقال:﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة، ٢٥٥]، فصفات الله تبارك وتعالى توقيفية لا يجوز أن نزيد عليها شيئا ولا أن نشرح تفاصيل لم ترد. وقد وقع علماء الكلام في فخ المنطق في الحديث عن صفات الله، فجعلوا يسرحون في بحث الصفة والموصوف، وهل الصفة هي نفس الموصوف أم هي معنى زائد عن الذات، إلى غير ذلك من أبحاث أساسها منهجية المنطق، وليس منهجية القرآن.

فاللغة العربية هي اللغة التي أنزل الله بها القرآن وبها يفهم القرآن، فقد قال ربنا تبارك وتعالى:﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ [الزمر، ٢٨] فلا تُترك اللغة العربية وما تدل عليه إلى المنطق الذي استخدمه الفلاسفة اليونان، فإن هذا هو الضلال المبين! وقد خاض هؤلاء في كثير من آيات القرآن الحكيم وأخضعوها للمنطق ورفضوا إخضاعها لقواعد اللغة عناداً، فجعلوا يختلفون في إثبات اليد لله أو نفيها عنها في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿١٠﴾ [الفتح، ١٠]، مع أن الآية ليست من الآيات التي يستدل بها على صفات الله، فيس محلا لبحث إثبات اليد لله أو نفيها عنه تبارك وتعالى، فإيراد لفظة اليد فيها إيراد مجازي على منهج العربية في تقرير المجاز وقرائنه، واللفظة في نفسها ظنية في دلالتها فلا يستدل بها على الصفات، وقد أورد الطبري في تفسيرها قوله:

(وفي قوله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة؛ لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ، والآخر: قوّة الله فوق قوّتهم في نصرة رسوله ﷺ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نُصرته على العدو.) وورد في تفسير القرطبي قوله: («**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**» **قِيلَ: يَدُهُ فِي الثَّوَابِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فِي الْوَفَاءِ، وَيَدُهُ فِي الْمِنَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فِي الطَّاعَةِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مَعْنَاهُ نِعْمَةُ اللَّهِ عليهم فوق ما صنعوا مِنَ الْبَيْعَةِ. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: قُوَّةُ اللَّهِ وَنُصْرَتُهُ فَوْقَ قُوَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ**)، وقال ابن كثير في تفسيره: **(يد الله فوق أيديهم) أي: هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ كقوله:** ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ **[التوبة، ١١١] .وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الفضل بن يحيى الأنباري، حدثنا علي بن بكار، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سل سيفه في سبيل الله، فقد بايع الله».)**

إن الذين بحثوا هذه المباحث أخطأوا في أبحاثهم، لكنهم لم يكفروا بالله تبارك وتعالى، فهم آمنوا به ربا وخالقا وحاكما ومهيمنا وسميعا وبصيرا وحافظا ومحيطا، وقد اجتهدوا فأخطأوا في نتائجهم بسبب خطئهم في طريقة فهم القرآن، فهي فرق إسلامية أصابت أو أخطأت، وقد اندثر كثير منها أو كاد، والأمة اليوم مختلفة عن الأمة في ذلك الوقت، فهي اليوم تخطو مسرعة نحو وحدتها في دولة الخلافة، فإياكم أن تخذلوها وتحبطوها وتفرقوها وتجعلوا أنفسكم حكاما عليها تكفرون هذا وتبدعون هذا من خلال إحياء ما اندثر من هذه الفرق، بل اعملوا واجتهدوا وغذوا السير لتقيموا دولة الإسلام فتعالج دولة الإسلام بمنهاجها الصافي هذه القضايا كما عالجها النبي ﷺ.

وملخص موضوع الصفات هو أن صفات الله توقيفية، فما ورد منها في النصوص القطعية ذكرناه بالقدر الذي ورد في النصوص ليس غير، فلا يجوز أن نزيد صفة لم ترد ولا أن نشرح صفة بغير ما ورد عنها بالنص القطعي

يا شباب، كونوا جيل عمل ولا تكونوا جيل جدل، فعن ابي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: **(ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هدًى كانوا عليه إلا أُوتوا الجَدَلَ، ثم تلا هذه الآيةَ بل هم قوم خصمون الآيةُ.)** [صحيح ابن ماجه، ٤٨]، والله معكم.■

مقدمات أدلة إثبات وجود الله

يوسف الساريسي - فلسطين

أمريكا تعمل على نشر الإلحاد في العالم الإسلامي:

أعرب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (CAIR)، قبل بضع سنوات (٢٠٢٢/٠٧) عن قلقه البالغ بشأن برنامج أمريكي لترويج الإلحاد في العالم الإسلامي، فوفقاً لمكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل التابع لوزارة الخارجية الأمريكية، ستستخدم الأموال لإنشاء وتقوية «شبكات من المدافعين عن المجتمعات المتنوعة من الملحدين والإنسانيين وغير الممارسين وغير المنتسبين من جميع الطوائف الدينية في البلدان المستهدفة". وحددت وزارة الخارجية موقع الأنشطة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بالإضافة إلى جنوب آسيا ووسطها.

فكان لا بد للمسلمين وحملة الدعوة بشكل خاص، من مجابهة حرب أمريكا وأتباعها على دين الله، بقذائف من الحق لصرع باطلهم، فكانت هذه المقالة.

مقدمة:

عند مناقشة المخالفين لنا فكريا، لا بد من وجود أرضية مشتركة للنقاش معهم، فنقاش رجل مسلم مؤمن غير نقاش رجل ملحد منكر للخالق، ومناقشة نصراني تختلف عن مناقشة ماركسي، وهكذا. فالأرضية المشتركة التي نقصدها هنا هي تلك الأمور التي يتفق عليها المتناقشان ياعتبارها مُسلَّمات يُقرّان بها مرجعيةً وأساسًا للنقاش، فتستخدم هذه المسلمات مقاييسَ للأمور التي سيبتنى عليها النقاش من أجل الوصول إلى قواسم مشتركة أو أفكار مبتناة على هذه الأرضية.

فالمسلم صاحب المذهب المخالف يُسلِّم بالقرآن والسنة مرجعًا لأية قضية تُناقش، ولكنه قد يختلف معك في أدلة أصول الفقه المعتبرة، فيما الملحد ينكر كل ذلك وينكر وجود الله أصلا، أما النصراني فيقر بوجود الله ويقر بالنبوات والرسل ولكنه لا يؤمن بالقرآن ورسول الإسلام ﷺ.

وهكذا، فمناقشة كل شخص لا بد أن تنطلق من مسلمات معينة يقر بها الطرفان المتناقشان، حتى يكون النقاش مثمرا ومنتجا من أجل الوصول إلى الحق والصواب.

المُسلَّمات اللازمة لنقاش الملاحدة:

من يريد مناقشة مسألة وجود الله بطريقة عقلية مع الملحدين أو المشككين، فعليه أن يقدم أسسا وأصولا تراعى ويؤسَّس لها قبل الإقدام على المناقشة، فتكون الأدلة التي تقدم

لإثبات وجود الله أدلة رصينة لا ثغرات فيها، وتكون ملزمة للخصوم.

وفي هذا المقالة سنتعرض لما يلزم من مُسلَّمات عندما نريد أن نناقش الملاحدة أو الجاحدين أو المشككين في وجود الله وأن نقيم الحجة عليهم، إذ لا بد أن نبدأ معهم بمسلمات مشتركة بيننا وبينهم، وهذه المسلمات ليست هي الأدلة النقلية من القرآن والسنة، وليست هي علم أصول الفقه، بل هي شيء آخر مشترك بيننا وبينهم، ألا وهو العقل ومقاييسه الأساسية، وشروط التفكير وكيفية بناء الدليل العقلي.

وعندما نتدبر الأدلة التي نستدل بها في أصول الدين أو العقيدة على وجود الله وصفاته بالعقل، كدليل المحدودية ودليل الاحتياج ودليل العناية وغيرها، نجد أن هذه الأدلة تستند إلى مقاييس عقلية وأمور ضمنية موجودة في الأدلة ولكنها مستترة أو مسكوت عنها، ولا بد لنا من كشفها وتبيانها. فهي باعتبارها مُسلَّمات - سواء أكانت بديهيات أم أصليات - لا يختلف عليها عاقلان، أي إن الأرضية المشتركة للمتناقشين هي الأدلة العقلية ومقدماتها فحسب.

مقدمات الأدلة:

بما أن واقع العقل والأدلة العقلية وطريقة الاستدلال غير واضحة ولا مبلورة عند معظم الناس، وبالأخص عند الزائغين فكريا والملحدين والمشككين، كان لا بد -قبل البدء بنقاش الملحد أو المشكك في وجود الله- من أن نتفق معه على مجموعة من المقدمات العقلية قبل الدخول في أدلة إثبات وجود الله تعالى، إذ إنه قد يختلف معنا أثناء النقاش حول بعض القضايا التي نسلّم بقطعيتها وهو يعتبرها غير قاطعة أو قد لا يسلم بها. فعندما نقول إن الخالق يجب أن يكون غير مخلوق وإن هذا باطل عقلا، فنحن هنا اعتمدنا على مقدمة عقلية هي بطلان التناقض وتلازم الصفات، وهو قد يعترض على ذلك، لأنه يريد التهرب من الإلزام بايجاد ثغرة ينفذ منها، فمن الأفضل أن يُلزَم هذه المقدمات قبل النقاش.

لذلك أصبح من الضرورة أن نمهد للدليل العقلي المطلوب، من خلال الاتفاق على مسلمات محددة، وهي ماهية الدليل ومقدمات الأدلة. أما ماهية الدليل فنعني بها: ما هو الدليل المطلوب في الإثبات، بحيث يكون هذا الدليل قاطعا بلا شك، فليس المطلوب رؤية الخالق عيانا للإيمان كما طلب بنو إسرائيل من موسى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ (١٥٣) سورة النساء.

إن الاستدلال المطلوب يكون بالانطلاق من أمر معلوم للتوصل إلى العلم بأمر مجهول، لأن معنى الدليل هو ما يرشد إلى غيره. فالدليل يجب أن ينطلق من أمر معلوم، وهو الإحساس بالمحسوسات للتوصل إلى أمر غائب أو مجهول، ونقصد به هنا معرفة الله والايمان بالغيب، أي أن يكون المنطلق هو الاعتماد على الحس وليس على المقدمات المنطقية أو الشك الفلسفي، بل يُعتمَد الدليل العقلي

وشروط التفكير.

أما الأمر الآخر، وهو المقدمات التي نستخدمها قضايا مسلمةً متفَقًا عليها مع الخصم، فهي أربع، وتشمل:

البدهيات والأصليات والسببية وتلازم الصفات.

وسنعمد إلى شرح سريع لهذه المقدمات حتى يتضح واقعها وتدرك أهميتها.

أولا) **البَدَهيات:**

البدهيات -وتسمى أيضا بالأوليات- هي مقاييس لصحة الأدلة العقلية المستخدمة. وما جعلها بدهيات هو أنها تستند إلى قوانين التفكير مباشرة، فهناك قانون في التفكير هو المطابقة، ومنه تنبثق بدهية بطلان التناقض، فوجب أن لا تكون الأدلة متناقضة، وكذلك يجب أن لا تكون البراهين متسلسلة بلا نهاية (بطلان التسلسل اللانهائي)، وأن لا تدور حول نفسها (بطلان الدور)، وبدهية بطلان الرجحان دون مرجح وأن لكل حدث فاعلا، أي مبدأ السببية. وبدهية الاستقرار وهي معكوس السببية، فهذه المجموعة من البدهيات هي التي نستند إليها أثناء تأليف الدليل العقلي، والتي يجب أن ينضبط بها ولا يخالفها، وإلا اعتُبر الدليل غير عقلي أو لا يتوافق مع العقل.

والبدهيات قضايا لا تحتاج إلى إثبات، بل يسلم بها العقل مباشرة بعد تصور معانيها، فهي بهذا المعنى مسلمات، والمطلوب فقط هو توضيحها وشرحها من خلال ضرب بعض الأمثلة حتى يُتّفَق على الاصطلاح الخاص بها وليس لإثباتها. فمثلا تُضرب بعض الأمثلة على بدهية بطلان التناقض، كاستحالة اجتماع الوجود والعدم في نفس الشيء، أو أن يكون الكائن حيا وميتا في نفس الوقت، أو يكون الجسم منيرا ومظلما في نفس الوقت. فهذه الأمور المتناقضة التي لا يمكن أن تجتمع معا هي من المحالات التي لا يتقبلها العقل، وإلا كان الصدق والكذب سيَّين، ولكان الحق والباطل صنوين، في حين أنهما ضدان لا يجتمعان البتة. ومنه أيضا أن يكون الشيء موجودا في مكانين مختلفين في آن واحد، فأنت إذا كنت موجودا أمامي الآن في القدس فيستحيل أن تكون الآن موجودا في دمشق. ومنه أيضا القول بأن الشيء محدود وغير محدود أو أنه عاجز وقادر في نفس الوقت، وهكذا.

ومن تطبيقات بطلان التناقض في مجال الأفكار والعقائد، زعم النصارى بأن المسيح هو ابن الله وهو في نفس الوقت أزلي مع الله، وهذا يعدّ تناقضا لا يقبله العقل، لأن واقع الابن أنه مولود، أي وجد بعد وجود أبيه، أي أن الأب سبب في وجوده، فيكون في وقت معين غير موجود ثم وجد، وهذا يناقض فكرة الأزلية، لأن الأزلي هو الذي لا بداية لوجوده، ولم يوجده أحد قبله. فيرفض العقل هذه الدليل المتناقض، وبالتالي يعد الإيمان بهذه الفكرة غير مقبول ولا عقلاني.

وأما بدهية بطلان التسلسل، فمن الأمثلة المشهورة عليها أن يطلق جندي رصاصة من بندقيته على شخص أمامه، ولكن الجندي لا

بد وأن يأخذ الأمر من ضابط مسؤول عنه، وهذا الضابط الأول يأخذ الأمر من ضابط أعلى منه رتبة، والضابط الأعلى يأخذ الأمر ممن هو أعلى منه، وهكذا يتسلسل الأمر إلى ما لا نهاية. فهذا التسلسل لا يقبله العقل، لأنه ما دامت الرصاصة قد أطلقت بالفعل من الجندي وأصابت الشخص، فلا بد حتما من صدور الأمر من أحد الأشخاص في هذه السلسلة، أما الزعم بأنها سلسلة لا نهاية لها، فهذا باطل قطعا لا يقبله العقل، لأن معنى ذلك أن التسلسل ما زال بانتظار المالانهاية حتى يطلق الجندي الرصاصة، وهذا يعني أن الحدث لم يقع حتى الآن، أو أن هذه السلسلة غير موجودة ولا لازمة أصلا. وما دامت الرصاصة قد أطلقت فلا بد وأن الأمر قد صدر من أحد أشخاص السلسلة، أو أن الجندي القاتل تصرف من تلقاء نفسه، ولذلك كان التسلسل اللانهائي باطلا.

ومن تطبيقات بدهية بطلان التسلسل في مجال الأفكار، القول بأن الذي خلق الكون هو خالق أول، وهذا الخالق الأول مخلوق لخالق ثانٍ، وأن الخالق الثاني مخلوق لخالق ثالث، وهكذا تمضي السلسلة بلا نهاية، وهذا محال وباطل عقلا، فإما أن تكون هذه السلسلة غير موجودة ابتداء وإما أنها غير لازمة أصلا. إذ ما دام الكون موجودا فوجب أن يكون له خالق موجد، ولا بد للتسلسل من نهاية قطعا، ومن زاوية ثانية وبالاستناد إلى بدهية بطلان التناقض، يستحيل أن يكون الشيء خالقا ومخلوقا معا، فإما أن يكون خالقا وإما مخلوقا، وبالجمع بين البدهيتين نصل إلى أن هذه السلسلة من الخالقين غير موجودة وغير لازمة قطعا، والموجود هو خالق واحد، وهو يجب أن يكون غير مخلوق.

ثانيا) **الأصليات:**

الأصليات هي قضايا ثابتة في ذات الأشياء أو في أحوالها ابتداء، فهي أمور ثابتة في طبيعة الأشياء وفي أحوالها وليس بالضرورة أن تكون في العقل ابتداء، وقاعدة استصحاب الأصل هي قاعدة معروفة في علم أصول الفقه.

والأصليات لا تحتاج إلى أدلة لإثباتها، وما يحتاج إلى اثبات ودليل وبرهان هو حالة الضد، أي خروجها من الحالة الأصلية إلى غيرها، فعند البحث والاستدلال على وجود الأشياء وصفاتها وحالاتها تكون مرجعيتنا هي هذه الأصليات، فتكون نسبة الأشياء إلى حالتها الأصلية ثابت لا جدال فيه، لأن التصور الواقعي -في العقل- للحالة المضادة لهذا الأصل مرفوض قطعا بلا شك، وبالتالي يكفي لإثبات الأصليات ضرب الأمثلة لتصور حالة الضد المرفوضة قطعا.

ومن قواعد الأصليات ما يلي:

الأصل هو عدم وجود الأشياء المادية المحسوسة، ووجودها بحاجة إلى إثبات قطعي

الأصل في الأشياء أنها مستقرة لا تتغير، وهي تقاوم التغير بشكل طبيعي، وهذا هو مبدأ الاستقرار.

خروج الأشياء من حالة الاستقرار والقصور يكون باكتسابها طاقة سببية مؤثرة تعمل على تغيير حالاتها.

الأصل في حركة الأشياء الفوضى والعشوائية ولا تترتب أو تنتظم إلا جبرا عنها بالقوة، والقوة المنظمة هي التي توجد الأنظمة السببية بايجاد روابط وعلاقات بين الأجزاء التي يتألف منها النظام، ببذل طاقة سببية في الربط فيما بينها لايجاد ترتيب بنمط معين أو تنظيم الأجزاء بطريقة محددة لتؤدي وظيفة غائية

الأصل في الأشياء الحالة الجمادية، أي انعدام الحياة، فالأحياء بحاجة إلى سبب لايجاد الحياة واستمرارها فيها، فالحياة حالة طارئة ومؤقتة موجودة في الأحياء، والابتداء أو الرجوع إلى الحالة الأصلية أي اللاحياة أو الموت حتمي فيها.

الأصل في عقل الإنسان هو حالة الجهل، والعلم شيء طارئ عليه وهو بحاجة إلى اكتسابٍ وتلقٍّ من الغير.

الأصل في دماغ الحيوان هو غياب العقل والتفكير وفقدان الذكاء والربط الواعي، وسلوكه ناتج من تمييز غريزي وخالٍ من المفاهيم.

الأصل في الإنسان براءة الذمة، والتهمة بالقيام بفعل معين (سلبي أو ايجابي) بحاجة لدليل.

والأصليات تشبه البدهيات العقلية، إلا أنها موجودة في طبيعة الأشياء وأحوالها وليست في العقل كالبدهيات

وأهمية الأصليات تكمن في أنها تلزم لسد ثغرات بعض الأدلة التي يحاول البعض النفاذ منها لابطال البراهين، فمثلا فكرة تعدد الأكوان هي ثغرة يحاول منها بعض الملحدين من الفلكيين إبطال حاجة الكون المُنظَّم تنظيما دقيقا إلى خالق منظِّم، فتُسَدّ هذه الثغرة من خلال قاعدة أن الأصل في الأشياء العدم ما لم يثبت وجودها قطعا، فعلى من يزعم وجود أكوان غير الكون الذي نحس به، أن يثبت وجودها بالدليل القاطع لأن هذا خلاف الأصل، وإذا لم يأت بالدليل فزعمه باطل والأكوان الأخرى المزعومة لا دليل على وجودها

ومثل ذلك القول بأن الأصل في العقل العلم وليس الجهل، ولو كان هذا الزعم صحيحا لكان كل إنسان يولد عالما وليس بحاجة للتعلم، وهذا تصور لا يقبله العقل بتاتا، وهو خلاف الواقع قطعا، وهكذا.

وباستخدام الأصليات يُرَدّ على نظرية التطور الداروينية من خلال قاعدة أن الأصل في حركة الأشياء هو الفوضى والعشوائية، ولا تترتب أو تنتظم إلا جبرا عنها. وهذا يؤكده قانون الأنتروبي أو القانون الثاني لعلم الديناميكا الحرارية، والذي ينص على أن الأنظمة تميل دائما لمزيد من العشوائية، وأن عملية الانتظام غير قابلة للانعكاس قطعا. ولذلك تعد نظرية التطور الداروييني وغيرها من نظريات التطور المزعومة كنظرية تطور التاريخ لماركس، مخالفة قطعا للأصليات ولقانون الأنتروبي، وبالتالي فالأصل هو عدم الانتظام الذاتي للأشياء، أي إن التطور المزعوم هو معكوس ومنكوس، ولو كان الأصل في الأشياء أنها تنتظم تلقائيا لما وجدنا أي أمر عشوائي في الكون. فوجود الأحداث العشوائية غير الغائية في بعض الأشياء فيما حولنا كتأثير

العوامل الطبيعة ينقض كلامهم، ويثبت الأصل العشوائي للحركة.

ومن الأصليات قاعدة «البينة على من ادعى»، ومثاله لو ادعى شخص نسبة أولاد لرجل ما، ولكنه لم يأت بدليل يثبت ذلك، ففي حالة عدم الإثبات نرجع إلى حكم الأصل وهو العدم، أي أن الأصل هو عدم وجود أولاد ولا زوجات لأي رجل ابتداء، فبمجرد تصور حالة الضد وهي أن يكون لكل الرجال نساء وأولاد ابتداء ينافي الواقع والعقل، فالبينة إذن مطلوبة وتُطلب من المدعي، وبلا بينة أو دليل كافٍ تسقط الدعوى. ولكن هذا بعكس حالة الأبوة، فإن وجود الولد دليل على وجود أبوين له قطعا، لأن الولد موجود ولا بد لوجوده من سبب.

ثالثاً) **السببية:**

السببية تعد جزءا من البدهيات العقلية سالفة الذكر، ولكن هناك سببية من صنف ثانٍ وهي السببية الواقعية أو الطبيعية، وهذه السببية متوافقة مع السببية العقلية تماما، لأن الله تعالى خلق الكون على نظام السببية وخلق العقل وجعل فيه الربط السببي، فهناك توافق بينهما

لكن يوجد للسببية الطبيعية تفاصيل وضوابط لا بد من تجليتها، حتى يكون الربط السببي بين السبب والنتيجة صحيحا ومنضبطا، فهناك السببية البسيطة، وهناك النظام السببي، وهناك السببية الإنسانية. وتفصيلها كالتالي:

السببية البسيطة:

تقاوم الأشياء أية عملية تغيير تحدث لحالة الاستقرار التي تكون فيها، والعامل المغير الذي يستطيع تغيير وضع هذه الأشياء وحالتها هو السبب، وذلك عند اكتسابه طاقة مؤثرة في لحظة معينة يستطيع بها نقل الأشياء التي فيها قابلية التأثر -أي لها خواص مناسبة- من حال إلى آخر، ويحتاج السبب ليكون فعالا إلى التعاون مع عوامل أخرى تساعده على التأثير وهي «الشروط»، ويعقب عملية التأثير السببي حدوث النتيجة (المسبَّب) حتما. فأساس التأثير السببي هو وجود الطاقة السببية وبنفادها ينتهي تأثير السبب، في حين أن هذا غير لازم للشرط.

النظام السببي

يتكون النظام من مجموعة من الأجزاء وروابط تجمع الأجزاء معا بطريقة معينة مرتبة، وفق برمجة تؤدي هدفا أو تقوم بوظيفة محددة. والأشياء تميل للانفلات من النظام والتقييد وتميل للفوضى والعشوائية، وبالتالي فهي لا تتعاون فيما بينها للانتظام وتشكيل الروابط، لذلك فوجود النظام ابتداء بحاجة إلى سبب يجمع أجزاءه ويبرمجها ليؤدي الوظيفة التي أرادها له منظمه. فالبناء المشيد هو نظام والطاولة نظام وقناة المياه نظام وهكذا.

أما النظام السببي فهو يتميز من النظام العادي المستقر بحمله طاقة سببية مؤثرة، ويؤدي عملا محددا ويحدث تغييرا في غيره. ومن الأمثلة على ذلك الأنظمة الميكانيكية كالسيارة والثلاجة، وكذلك الأنظمة الحية كجسم الإنسان.

سألت سؤالا لأحد المشككين القريب من الإلحاد، لماذا أنت لا يمكنك أن تصدق بأن الطبيعة يمكن أن تنتج أو تطور طاولة أو سيارة؟ فلم يستطع الإجابة، ولكنه أقر معي بأن ذلك مستحيل عقلا، ولكنه لا يعرف الجواب، فأجبته بأن الأسباب أو العوامل الطبيعية التي تفعل فعلها في الطبيعة مثل الرياح والأمطار وأشعة الشمس وجاذبية الأرض وأمواج البحار والبراكين والزلازل والضغط والحرارة... الخ لا يمكن أن تُنتج نظاما، بل هي ذات تأثير عشوائي، وأنها تخرب الأنظمة الموجودة أصلا، وأن هناك في قوانين الثيرموديناميك قانون الأنتروبي الذي يحتم بأن كل الأنظمة تتجه نحو العشوائية وليس العكس، فلا يمكن أن تتفق مجموعة حجارة على تشكيل نظام رتيب وتترابط معا بشكل معين لأجل ذلك، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الأنظمة تميل إلى الانفلات والتحرر من القيود والروابط. لذلك كان إثبات أن في الكون والإنسان والحياة أنظمة متقنة – خصوصا الأنظمة السببية- هو من أهم الأعمدة لإثبات وجود الصانع ووجود الغائية في الكون.

السببية الإنسانية

هناك فارق بين السببية الطبيعية وبين السببية المتعلقة بأفعال وسلوك الإنسان بسبب وجود الإرادة أو حرية الاختيار لدى الإنسان. والإنسان فيه ناحيتان وهما: الناحية الجسمية والناحية العقلية، أما الناحية الجسمية فهي ناحية مادية يشترك فيها مع الكائنات الحية الأخرى، فهي نظام سببي يتكون من مجموعة من الأعضاء ومجموعة من الأنظمة الحية كالجهاز الهضمي والجهاز العصبي ... الخ. وأما الناحية العقلية المعنوية فالإنسان فيه خاصية التفكير، أي القدرة على ربط الواقع الخارجي المحسوس بالحواس مع المعلومات السابقة ثم الحكم على الشيء أي تفسيره وإعطائه معنى.

وأفعال الإنسان هي أسباب مؤثرة، وهي تتولد نتيجة امتزاج الطاقة الحيوية مع الطاقة الفكرية أي المفاهيم. فالسبب الإنساني حتى يتم بحاجة إلى الطاقة الشعورية (الحيوية)، وإلى الطاقة الفكرية (العقل).الذي يحوي المفاهيم التي تسيّر هذه الطاقة الحيوية. فالسبب الإنساني هو فعل يقوم به الإنسان للتأثير على شيء معين وتغييره من حال إلى آخر. وهذا الفعل يقرره العقل باختياره وإرادته بما لديه من مفاهيم حول مصلحته من القيام بهذا الفعل أو الإحجام عنه.

رابعاً) **تلازم الصفات:**

توجد علاقات تلازمية كثيرة بين الأشياء، وما يهمنا هنا هو تلازم الصفات للأشياء، وهذا التلازم هو من الأمور التي يلزم تأسيسها قبل الإتيان بالأدلة، وبالتالي فهي لازمة للاستدلال، لأن التوصل إلى بعض الصفات التي يثبتها العقل للخالق هي صفات مستنتجة من صفات أُخَر للأشياء المدركة، وأن هذه الصفات للأشياء مأخوذة من صفات أخر محسوسة للأشياء، ونريد إثبات أن أصل صفات الخالق العقلية يعود إلى أضداد صفات المخلوقات.

والمقصود بتلازم الصفات للأشياء أن هناك صفات متعددة للأشياء، بعضها محسوس مباشرة وبعضها الآخر مستور أو مجهول، ومعنى تلازم الصفات أنه يمكننا استنتاج صفة مجهولة لشيء معين من صفة أخرى أو صفتين معلومتين عنه، بشرط أن تكونا مترابطتين أو متلازمتين، والتلازم يثبت من خلال الاقتران أو الارتباط الواقعي المقطوع به بينهما. وهذه العلاقة التلازمية القاطعة تثبت بين أمرين بواسطة الاستقراء التام أو الاقتران وكذلك يثبت بواسطة التلازم السببي أو الشرطي، أو بواسطة الاشتراك في وصف معين يجمع بينهما، أو التعاقب والتسلسل، وغيرها.

فالاستقراء يدل على التلازم الدائم بين أمرين، فيتكون من هذا الاقتران الدائم رابطة دلالة بينهما، ويحصل باستخدام طريق الاستقراء إثبات صفات محددة للأشياء، لكن هذه الطريقة الاستقرائية فيها إشكال، لأنها تقوم على الاستقراء الناقص وليس التام، حيث إن الاستقراء التام يستلزم النظر والإحساس بجميع الأشياء التي نريد تعميم الحكم عليها فرداً فرداً، بهدف إثبات وجود تلازم لصفة معينة فيها، وهذا الاستقراء -بهذا الشكل- أمر محال عمليا. ولكن يُكتفَى بالاستقراء الناقص لتعميم الأحكام بالاستناد إلى ماهيات الأشياء -أي إلى صفة أو خاصية ثابتة ملازمة لجوهر الأشياء- فيحكم بتعميم هذه الصفة، فيُجبَر الاستقراء الناقص ليصبح تاما.

فمثلا لإثبات وجود قابلية الاحتراق في الخشب، لا يلزم أن نقوم بحرق كل خشب الدنيا لإثبات ذلك، بل يكفي عمل تجربة بحرق بعض الأخشاب ثم نقوم بالتعميم بالقول بأن كل الخشب يحترق، لأن القابلية للحرق هي خاصية موجودة في جوهره، وإذا لم يحترق فإنه يخرج عن كونه خشبا، فهذه الصفة هي من الصفات الجوهرية أو الخواص الكامنة الملازمة للخشب والتي لا تنفك عنه مطلقا، ولذلك يُجبَر الاستقراء الناقص للتجربة والمشاهدة الحسية بالاستناد إلى علاقة تلازمية ما بين الظاهرة المشاهَدة وصفة ملازمة لها في خواص الأشياء.

ولكن هذا النوع من الاستقراء لا يثبت للصفات الطارئة غير الدائمة، فمثلا إذا نشأ إنسان على جزيرة ما ورأى أن كل البط فيها ذو ريش أبيض، فهو سيعمم استقراءه المحدود بأن كل البط يكون لون ريشه أبيض.

فإذا خرج خارج الجزيرة ووجد بطا ذا ريش أسود، فإنه سيعرف بأن حكمه الأسبق كان خطأ لأنه مبني على استقراء ناقص، وأنه بنى حكمه على صفة لون الريش للبط، وهي صفة طارئة وليست جوهرية أو ثابتة، وهي قابلة للتغير في الأشياء. وبالتالي فمن الأدق أن يقول إنه بحسب مشاهدته في الأمكنة التي تقصى فيها البط وجد أن لون الريش يكون أبيض، بشرط أن لا يعمم هذا الحكم بأن ينفي وجود بط ذي ألوان أخرى، لأنه لا يوجد ما يمنع من وجود ألوان أخرى.

أما التلازم السببي بين أمرين -بين الأثر والمؤثر- فإنه يوجد بواسطة العلاقة السببية

التي تربط السبب مع النتيجة، ومثلها التلازم الشرطي ما بين الشرط والسبب لإحداث النتيجة، فإذا سمعت صوتا يتكلم في الظلام دل ذلك على وجود إنسان حي صدر منه الصوت، لأن الأثر دل بشكل قاطع على وجود الشيء المؤثر. وهناك تلازم سببي ما بين الدخان والنار لأن النار سبب في وجود الدخان وهو ناتج منها، وتلازم ما بين آثار الأقدام على الأرض والكائن الحي الذي مشى فوقها. أما التلازم الشرطي فمثاله الترابط ما بين النار والأكسجين لإحداث الحرق، فإذا فقد الأكسجين تعطل عمل السبب ولم يوجد الحرق ولا ينتج الدخان، لأن الأكسجين شرط أو عامل لازم للاحتراق.

أما التعاقب بين أمرين فمثاله تعاقب الليل بعد النهار، ووجود الأولاد بعد الوالد، ومن التلازم المتعاقب التسلسل مثل كون رقم ثلاثة يعقب الاثنين ورقم خمسة يأتي في التسلسل بعد الأربعة وهكذا.

تلازم الصفات المتعلقة بالوجود المستقل أو الوجود التابع:

يجب لفت النظر عند البحث في تلازم الصفات إلى وجود صفات خاصة لبعض الأشياء، وإلى وجود صفات عامة مشتركة تشمل جميع الأشياء، وعندما نريد التوصل إلى التعميم بالاستقراء لا بد أن نستخدم الصفات العامة للأشياء لا الخاصة، لأن الهدف هو البحث في الكون والأشياء، للتوصل إلى جواب عن سؤال مركزي حول الوجود المستقل للأشياء المحسوسة أو أن وجودها تابع لغيرها، لأن البحث الجوهري هو عن أصل الموجودات، والأصل يجب أن يكون وجوده مستقلا لا تابعا لغيره، وهو الذي يجب البحث عنه لتمييز الموجودات المستقلة من التابعة.

ولكن هذه الصفة أي الاستقلال الذاتي والتابعية في الأشياء، لا يمكن الإحساس بها مباشرة، ولذلك لا بد من التوصل إليها من خلال صفات أخر محسوسة تكون ملازمة لها، فاستقلالها في الوجود يوجب وجود صفات متلازمة مع هذا الاستقلال لا بد من وجودها في الأشياء، فنبحث عنها فإذا وجدناها حكمنا بوجود الصفة الملازمة لاستقلالية الوجود، وإذا وجدنا صفات الضد للاستقلال أي التابعية حكمنا بإثبات صفات التابعية.

وتلازم الصفات الذي نبحثه هنا، يكون بالبحث عن مجموعة من الصفات المتلازمة مع الاستقلال ومجموعة صفات أخر تتعلق بصفات الضد المتلازمة مع التابعية، فعند البحث عن صفات عامة للأشياء نجد أنها تشترك في وجود صفات تقترن ببعضها وتجتمع في كونها صفات لوجود تابع لغيره كالنقص والعجز، ومنها الجهل والضعف والقصور والاحتياج والمحدودية وهي كلها صفات مشتركة ملازمة للموجودات التابعة (المخلوقات).

في حين أن أضداد هذه الصفات هي صفات للوجود المستقل بذاته ويتلازم مع الاستقلال الذاتي، وذلك مثل وجود صفات الكمال والأزلية والقدرة المطلقة والصمدية والعلم المحيط والإرادة المطلقة والربوبية

وغيرها.

ويجدر الانتباه إلى وجود بعض من الصفات المشتركة بين الموجود المستقل والموجود التابع أو الكامل والناقص، مثل صفات الوجود والإرادة والحياة والعلم، مع الفارق فيما بين الكامل والناقص من حيث جوهر الصفة. فذات الله تعالى الكامل لا يقع الحس عليها فلا نستطيع الحكم على ماهية صفاتها الغيبية بالعقل، بل ندرك وجود الصفة ومعناها الاجمالي إما من العقل إذا كانت معقولة أو من إخبار الله لنا عن ذاته وصفاته بالأدلة القاطعة، ويجب علينا التسليم بالخبر الإلهي عن صفاته كما وردت، ولكن من غير قياس للخالق على البشر حتى لو اشتركت هذه الصفات في الاسم. والبشر يستطيعون فقط إدراك معنى هذه الصفات في المخلوقات المحسوسة لهم. فمثلا لدى البشر القدرة على التعلم ويوصفون بالعلم، والله تعالى عالم، ولكن حقيقة علمه وماهيته لا يعلمها البشر، فلا قياس بينهما.

أهمية إثبات تلازم صفات الاستقلالية والتابعية في الاستدلال على وجود الخالق:

عند البحث في الأشياء المدركة المحسوسة نبحث عن صفات عامة مشتركة فيها، بحيث تقترن هذه الصفات ببعضها البعض ولا تنفك، لاستنتاج التلازم وللحكم على وجودها بالاستقلال أو التابعية. فمثلا حين ننظر في الكون نجده مكونا من مجموعة أجرام، وكل جرم منها مركب من عدة عناصر وعدة أجزاء مترابطة ببعضها، وهذا يدل على وجود صفة التركيب (مركب من أجزاء)، وهذا يدل على وجود نظام مصنوع، لأن الأصل في الأشياء هو العشوائية ولا تنتظم ذاتيا إلا بفعل غيرها، وإذا نظرنا في شيء مركب من مجموعة من الأجزاء المترابطة المرتبة ثم هو يؤدي عملا أو وظيفة معينة، حكمنا قطعا بأنه نظام مصنوع.

وكذلك عند النظر في الكون نجد أيضا بأن كل جرم من أجرام هذا الكون محدود، ووجود صفة المحدودية في الكون تتلازم وتقترن مع صفة أخرى هي العجز، والعاجز لا يستطيع إيجاد شيء ما من العدم ويعجز عن إيجاد نفسه من باب أولى فيكون محتاجا لمن يوجده، فيكون مخلوقا. فالعجز إذن صفة تقترن مع صفة المخلوقية، فنتوصل إلى أن من صفات الكون أنه مخلوق. وهذا يدل على عدم استقلال الكون في الوجود الذاتي، أي ثبت وجود صفة التابعية في الكون لغيره في وجوده.

فهنا نحن بحثنا ونظرنا في الأشياء، ووجدنا أن لها صفات مشتركة متلازمة مع وجودها وذلك كصفة الاحتياج وصفة المحدودية، ثم استنتجنا من وجود هذه الصفات صفات أخرى متلازمة معها كالعجز والوجود بعد العدم (المخلوقية)، ثم إنه يلزم من وجود هذه الصفات في الأشياء أنها غير مستقلة بوجودها أي أنها ليست ذاتية الوجود، أي أن الأصل فيها العدم -حسب الأصليات المذكورة أعلاه- (قاعدة الأصل في الأشياء العدم ما لم يثبت وجودها)، وبما أن وجودها ثابت بالحس والمشاهدة، وثبت أن

وجودها هو وجود تابع لغيره وليس مستقلا. وبالتالي -وباستخدام مبدأ السببية- نتوصل إلى أنه لا بد لوجودها من فاعل هو السبب في إيجادها، أي أنها مخلوقة بعد عدم، وهي بحاجة إلى من يوجدها (يخلقها).

وهذا الفاعل هو خالقها من العدم. وهذا الخالق يجب أن يكون وجوده ذاتيا مستقلا، وليس تابعا في وجوده لغيره وإلا كان مخلوقا، وهذا تناقض باطل لا يصح. وهذه الصفة -أي الخالقية- هي صفة كمال يجب أن يتصف الخالق بها، ويُنفى عنه صفات الضد التي تتصف بها المخلوقات الناقصة.

فنتوصل إلى أن هذا الموجود المستقل بذاته (واجب الوجود بذاته) يجب أن يكون خالقا أزليا قادرا مريدا عالما صمداً كاملاً مالكاً رباً واحداً، وأن يكون منزها عن كل صفات النقص التي في المخلوقات، فوجب أن يكون غير مخلوق ولا عاجز ولا محتاج ولا محدود، لأن اجتماع النقيضين في نفس الذات باطل حسب بدهيات العقل المذكورة سابقاً.

وهذه الصفات للخالق وإن كانت غير محسوسة بذاتها، لأن ذات الله وصفاته غير محسوسة مباشرة، ولكن العقل أدركها وأثبتها للخالق بالحس أي بالدليل العقلي المحسوس، من إدراكه لصفات النقص المتلازمة مع وجود المخلوقات المحسوسة، وإدراكه لوجوب وجود صفات الكمال الملازمة لوجود الخالق، ولذلك كانت هذه الصفات الواجبة لوجود الخالق هي صفات مدركة بالعقل ويثبتها العقل، وإن كانت ذات الخالق غير محسوسة للعقل مباشرة.

ويجدر بنا التدبر في مثال استخدمه القرآن الكريم، لإثبات أن سيدنا عيسى عليه السلام ليس إلها ولا ابن إله، قال الله تعالى في سورة المائدة:﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، فأكل سيدنا عيسى وأمه مريم للطعام يدل على وجود صفة الاحتياج، والاحتياج يدل على العجز، والعاجز لا يكون أزليا ويستحيل أن يكون رباً، فالله تعالى يبين للنصارى الآيات أي الدلائل على مخلوقية عيسى عليه السلام، ثم هم يؤفكون أي ينصرفون عن الأدلة ويقعون في الزيغ والضلال عن الحق. فلو أحسنوا التفكير وفق مسلمات العقول التي في رؤوسهم، لعلموا أن سيدنا عيسى هو من البشر، وبالتالي تنطبق عليه جميع خصائصهم وصفاتهم، فهو يأكل ويشرب وينام ويولد ويموت، وهذه كلها صفات للكائنات الحية التي تحتاج لغيرها في تصرفاتها وتدبير شؤونها، وهذا الاحتياج يدل على وجود صفة أخرى وهي العجز، وصفة العجز تقترن بصفة المخلوقية.

وتتلازم معها صفات المخلوقات من نقص وعجز واحتياج وموت وحياة الخ، أي إن عيسى عبد مخلوق وليس بخالق ولا رب. ولا يجوز عقلا الجمع ما بين صفات الأزلية والربوبية مع صفات النقص والعجز في ذات واحدة، لأن هذا محال لأنه تناقض، والتناقض باطل.

خامساً) **تطبيق مقدمات الأدلة على دليل المصنوعية ودليل المحدودية:**

لنأخذ مثالا محسوسا يدلنا على وجوب وجود الخالق باستخدام دليل المحدودية، فعند مشاهدة طاولة من الخشب، فهي شيء يدل على وجود صانع لها، ونستنتج أنه يجب أن يكون نجارا خبيرا عالما بصنعته متقنا لها، وهو مريد وقادر وعنده غاية ومبصر ولديه أيد يصنع بها ويملك أدوات ومواد خاما، الخ من الصفات واللوازم. ولكن لا يمكن الادعاء من مشاهدة الطاولة بوجود صفات أخرى للصانع مثل أن لون جلده أبيض أو أن لون عينيه أزرق وأن اسمه أحمد وأنه يلبس قميصا أحمر وأنه يسكن في القدس ... الخ، فهذه الادعاءات ليست عقلية وهي تخريص ورجم بالغيب، لأن الطاولة كمصنوع لا تدل بتاتاً على هذه الأمور لا من قريب ولا من بعيد، إلا إذا كان النجار الذي صنعها معروفا لنا بشكل شخصي، فعند ذلك يمكن ذكر هذه الصفات الخاصة به من معلومات سابقة عنه، أو أن نجد ختما خاصا به أو بطاقة تعريف تدل على الصانع، فيسأل عنه ثم يخبر النجار بنفسه عن نفسه.

والتفكر في الطاولة الخشبية دلنا على أنها مصنوعة، لأنها تتكون من أجزاء مرتبطة ببعضها وتؤدي وظيفة، فهي نظام غائي مستقر، وهذا يدل على وجوب وجود صانع لها، واستنتجنا من صفاتها المحسوسة كالإتقان والترتيب والإحكام في الصنعة والجمال وأداء الوظيفة بشكل فعّال، أن صانعها يجب أن يتصف بصفات لازمة من مشاهدة صنعته وهي الخبرة والعلم والإتقان والقدرة والملكية والإرادة وغيرها، وهي مجموعة من الصفات اللازمة للصانع حتى يستطيع أن ينتج المصنوع وهو الطاولة الخشبية.

وعند تطبيق هذا المثال للطاولة على الكون فإننا نلاحظ وجود النظام والقوانين التي تتحكم في سلوكه في كل شيء، وهذا التنظيم الموجود في الكون يجب أن يصدر من صانع له، وأن يتصف صانعه بصفات مثل العلم والإتقان والحكمة والقدرة والملكية والإرادة وغيرها من الصفات.

أما دليل المحدودية، فنحن نشاهد صفات معينة في الكون مثل المحدودية، ومعنى المحدودية هو أننا عندما ننظر إلى الأشياء نجدها لها أول ولها آخر، أي أنها محدودة مكانا، وما له بداية في المكان حتما له بداية في الزمان، لأن الزمان تابع ومرتبط بالمكان ارتباطا وجوديا، فلا وجود للزمان بشكل مستقل عن وجود المكان، فلا وجود للزمان بلا مكان، وبالتالي فكل محدود له بداية لوجوده المكاني والزماني، ومعنى ذلك أنه خلق في زمن معين بعد أن كان عدماً.

ومن زاوية أخرى يعتبر المحدود قاصرا عن تخطي حدوده فهو يعجز عن الخروج عن حدوده إلا بغيره فهو إذن قاصر وعاجز، فهناك تلازم بين صفة المحدودية مع صفة العجز أو القصور، فصفة المحدودية إذن تلازم صفة العجز، فالمحدود يلزم أن يكون عاجزا، والعاجز

لا يستطيع الخروج عن حدوده، ويظهر عجزه في عدم القدرة على ايجاد نفسه من باب أولى، ولذلك فهو موجود تابع في وجوده لغيره أي إنه مخلوق لغيره، وهو بحاجة إلى خالق يخلقه، فهنالك تلازم بين صفتي المحدودية والعجز، وتلازم العجز مع صفة المخلوقية في الأشياء.

ومن جهة أخرى يجب أن يتصف الخالق بصفات الكمال الملازمة لصفة الخالقية، وأن ينفى عنه كل صفات النقص والعجز، لأن اجتماع هذه الصفات في نفس الذات هو تناقض باطل لا يقبله العقل وفقا لبديهياته. ومن الصفات الملازمة لصفة الخالقية صفة القدرة بأن لا يكون عاجزا، ومن الصفات أيضاً الأزلية بأن لا يكون محدودا، وكذلك العلم المطلق والإرادة المطلقة وغيرها من صفات الكمال، التي دل على ثبوتها في الخالق وجود المصنوعات (المخلوقات) وصفاتها المدركة المحسوسة.

إذن توصلنا من خلال دليل المصنوعية للطاولة، ومن وجود صفات معينة في هذا المصنوع على لزوم وجود صفات مقترنة بها في الصانع، لأن أثر صفات الصانع ظهرت في المصنوع، فهو ارتباط سببي أي علاقة سببية بين أثر ومؤثر.

ولكن في دليل المحدودية توصلنا من خلال تلازم صفات معينة إلى أن وجود الكون هو وجود غير مستقل بذاته أي هو وجود تابع لغيره أي إنه مخلوق، والمخلوق لا بد له من خالق هو السبب في خلقه، فتوصلنا إلى وجوب وجود خالق للكون، ولكن لأن أهم صفة ملازمة للخالق هي الوجود المستقل بذاته، يوجب أن يتلازم مع هذه الصفة للخالق صفات أخر وهي أضداد صفات المخلوقات المحدودة العاجزة المحتاجة المخلوقة، فالخالق يجب أن يتصف بعدم المحدودية (الأزلية) وعدم العجز (القدرة المطلقة) وعدم الاحتياج (الصمدية)، وأيضا نتوصل إلى لزوم وجود صفات أخر تقترن مع صفة الأزلية مثل صفات الكمال وعدم النقص والعلم المطلق والإرادة المطلقة والوحدانية والربوبية وغيرها من الصفات. وهذه هي الصفات اللازمة التي يوجبها العقل لله رب العالمين.

وبعد، فهذه هي أهم المقدمات التي يوصى بالاتفاق عليها كمسلمات للنقاش مع غير المؤمنين بوجود الخالق، حتى يحصل إلزامهم بالأدلة والبراهين العقلية التي نستخدمها لإثبات وجود الله تعالى.

عسى الله أن ينفع بهذا أمة الإسلام التي جعلها الله شاهدة على الناس بالحق وللحق والهدى، وأن يجعلنا هداة مهديين يهدي الله على بأيدينا أمم الأرض الضالة، فتدخل في دين الله بقناعة العقول وطمأنينة النفوس. اللهم آمين.■

حلاوة الايمان؛ نبض القلب إلى قيادة الأمم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار**).أخرجه البخاري.

هذا الحديث العظيم أصل من أصول الإسلام. قال العلماء رحمهم الله: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله عز وجل، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى، بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله ﷺ.

قال القاضي، رحمه الله، في معنى الحديث: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه. وهذا هو الذي وجد حلاوته. قال: والحب في الله من ثمرات حب الله.

قال بعضهم: المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب، ويكره ما كره. وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان، ويستحسنه، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقا، وقد يكون لإحسانه إليه، ودفعه المضارّ والمكاره عنه. وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم، والإبعاد من الجحيم. وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى. وقال مالك وغيره: المحبة في الله من واجبات الإسلام.

هذا من حيث معنى الحديث أما من حيث ربطه بواقع الأمة السياسي فحين يقول النبي ﷺ: (**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**)، فهو يتحدث عن عاطفةٍ ساكنة في زوايا المحاريب و يرافقها «انقلاب شعوري» يطيح بكل الأنداد.

هذا الحب هو «المركز» الذي تنجذب إليه كل الحواس؛ فلا هوى لزعيم، ولا قداسة لدستور وضعي، ولا انصياع لإملاءات الدولة الأولى عالمياً في ميزان السياسة المبدئية، هذا الحب هو «السيادة المطلقة للشرع».

إنها اللحظة التي يرى فيها المؤمن أن «القوانين الدولية» و«المنظومات الرأسمالية» ليست

سوى أصنامٍ حديثة تُعبد من دون الله.

حلاوة الإيمان هنا هي تلك الأنفة الروحية التي تجعل المرء يرفض الانحناء لغير الخالق، مؤمناً بأن مبدأ الإسلام ليس مجرد عبادات من صلاة وصيام وقيام ليل ودعاء، بل هو التزام حكم الله في الأرض؛ في الحكم والنظام الاقتصادي والاجتماعي وغيره من نواحي الحياة، فلا يُطاع في الأرض إلا مَن أمرَ اللهُ بطاعته، حيث يتجسد من خلال هذا الالتزام محبة المرء لله ورسوله.

وقوله ﷺ: (**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**) هو المبتدأ والخبر في رعاية شؤون الأمة، فالمحبة في عرف مبدأ الاسلام هي الانقياد التام؛ وهي تقتضي كفرًا بواحًا بكل الأنظمة التي تُقصي شرع الله.

فمن ذاق حلاوة هذه المحبة لا يمكن أن يقبل بـ»سيادة الشعب» في الديمقراطية، ولا بـ»قداسة الدستور» الوضعي.

إنها دعوة لتحطيم «الأصنام السياسية» التي نصّبها المستعمر في بلادنا، وإعلان أن الولاء لا يكون إلا لمشروع الأمة الحضاري المتمثل في دولة الخلافة الراشدة الثانية، التي تجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

(وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله).. هذه هي القنبلة الموقوتة التي تهدد أركان «الدولة الوطنية» المسخ. إنها الرابطة التي تتجاوز حدود الجغرافيا والدم واللغة، لتصهر الأمة في بوتقة واحدة. حين تحب أخاك «لله»، فأنت ترفض أن تكون «جنسيتك» عائقاً أمام نصرته، وترفض أن تكون «المصلحة الوطنية» مبرراً لخذلانه.

هي حلاوة «الجسد الواحد» الذي إذا اشتكى منه عضوٌ في غزة أو الشام، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. إنها ثورة على «الوطنية الوثنية» التي فرقت الأمة إلى أشلاء، وإحياءٌ لروح الأمة التي لا تعترف إلا براية «لا إله إلا الله».

هذا الحديث ينسج خيوطاً من النور تصل قلب المسلم في باكستان بقلب أخيه في السودان، متجاوزاً تلك «الحدود المصطنعة» التي رسمها المستعمر بدمائنا.

(وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار)، هذا هو الفصال الوجداني بين نور الإسلام وظلمات الأنظمة الوضعية. وهو إعلان «اللاعودة» إلى عصر الظلمات والتبعية، هو تصويرٌ بليغ لمن ذاق طعم «العزة بالإسلام» ثم يُراد له أن يعود إلى قمقم التبعية للغرب.

الكفر هنا ليس مجرد جحودٍ بالخالق، بل هو «النظام الطاغوتي» الذي يُقيد الشعوب بالديون والاتفاقات المذلة والديمقراطية الزائفة.

إن المؤمن الذي تشرّب فكر النهضة يرى في «الدولة المدنية» أو «العلمانية» ناراً تحرق هوية الأمة وتلتهم مستقبلها. لذا فإن ثباته على مبدئه ورفضه للمساومات السياسية، وعدم قبوله بـ»أنصاف الحلول»، هو فرارٌ من النار.

الحلاوة هنا هي «يقين الصادقين» بأن العيش في ضنك الصراع مع الباطل، أجمل وأزكى من

الانغماس في «نعيمٍ مغشوش» تحت ظلال أنظمة الكفر.

فتحت وطأة الهجمة الاستعمارية الشرسة التي تقودها الرأسمالية العفنة، وفي وقتٍ تُسخر فيه المنظومات الدولية كل أدواتها لتدجين الأمة وإخضاعها لـ«شرعية» الغاب والقوانين الوضعية؛ يبرز حديث رسول الله ﷺ قاعدةً فكرية صلبة لعملية التغيير الجذري.

إن «حلاوة الإيمان» ليست طقساً تعبدياً معزولاً عن واقع الصراع، بل هي «المحرك الثوري» الذي يحرر الإنسان من عبودية المنظومات الغربية ليعيده إلى سلطان الوحي، هذه المحبة هي التي تجعل دماء المسلمين في غزة والشام وكشمير وتركستان دما واحدا.

إنها الرابطة التي ترفض «الحدود المصطنعة» وتَعُدّها جريمة استعمارية.

حلاوة الإيمان هنا تكمن في رفض «الوطنية الضيقة» والعمل الدؤوب لجمع بلاد المسلمين تحت راية واحدة، راية العقاب، ليصبح المسلمون قوة دولية ضاربة يحسب لها الكافر المستعمر ألف حساب.

مَن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، لا يمكن أن يقبل بـ»الشرعية الدولية» التي منحت كيان يهود حقاً في أرض الإسراء.

إن «حلاوة الإيمان» تقتضي الكفر بقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، والتمسك بـ»حكم الله» الذي يوجب تحرير كل شبر من فلسطين عبر تحريك الجيوش، لا عبر استجداء «المجتمع الدولي» الذي هو أصل الداء. إنها السيادة المطلقة للوحي فوق إملاءات البيت الأبيض.

إن «حلاوة الإيمان» تكمن في رابطة العقيدة التي تجعل الأمة جسداً واحداً. فالحب في الله يقتضي أن تتحطم حدود «سايكس بيكو» التي تحرس كيان يهود. إن نصرة غزة والقدس ليست «تضامناً إنسانياً» فحسب، بل هي فريضة عقدية توجب على أهل القوة والمنعة في بلاد المسلمين الإطاحة بالرويبضات الذين يمنعون الجيوش من الزحف لتطهير المسجد الأقصى

إنها الأخوّة التي تلغي «التنسيق الأمني» مع المحتل الغاصب وتُحيي «الجهاد» لتحرير البلاد والعباد

إن «حلاوة الإيمان» تفرض رابطة الأخوة الإيمانية فوق رتب العسكرية الوطنية. فالحب في الله يوجب على الجندي في الأردن ومصر وتركيا والسعودية أن يرى في مسلمي غزة والسودان وميانمار والشام «إخوة دم وعقيدة» تجب نصرتهم فوراً.

فالمؤمن في سلك الجندية يجب أن يكره البقاء في «منظومة الكفر الدولية» وتبعيتها كما يكره أن يلقى في النار.

إن الثبات على المبدأ هنا يعني التحرر من الهيمنة الغربية، ورفض أن تكون الجيوش «حارساً» للمصالح الاستعمارية وأداة قمع للشعوب تحت مسميات «مكافحة الإرهاب».

إن حلاوة الإيمان تدفع أهل القوة لرفض هذا الهوان، والعمل على قلب الطاولة عبر تغيير جذري ينزع الشرعية عن الأنظمة العميلة ويضع القوة في يد «إمام جُنة» يُقاتل من ورائه ويُتقى به

فلسطين اليوم لا تنتظر قمةً عربية هزيلة، ولا قراراً دولياً مخادعاً، بل تنتظر أمةً ذاق أبناؤها

«حلاوة الإيمان»؛ فاسترخصوا الدماء في سبيل الله، وتحرروا من عبودية «النظام الدولي» الرأسمالي

إن الصراع اليوم هو بين «عقيدة التحرير» و«عقيدة الانبطاح».

فليكن الايمان بالخلافة هو البوصلة، وحب المسلم لأخيه المسلم في الله هو الوقود، والكره لأنظمة الكفر هو المحرك.

وحين نتأمل واقع الأمة اليوم ندرك أن أزمتها ليست في نقص السلاح ولا في قلة الرجال، بل في «عقيدة قتالية» كبلتها الأنظمة المقيدة بأغلال التبعية للمستعمر. وهنا يأتي حديث «حلاوة الإيمان» ليكون ميثاق التغيير الجذري داخل الثكنات، والدافع لتحريك الفيالق نحو غايتها الكبرى

لقد نجح المستعمر في جعل الجندي المسلم يرى في أخيه المسلم «عدواً» لمجرد أنه يلبس بزة عسكرية لدولة جارة، بينما يرى في «المناورات المشتركة» مع أمريكا وفرنسا ضرورة أمنية!

في العلوم العسكرية الوضعية، يُقدس الجندي «الأوامر» ولو كانت خيانة، ويدين بالولاء «للنظام» ولو كان طاغوتاً. ولكن العقيدة الاسلامية تقتضي أن يكون أمر الله ورسوله أحب إلى الضابط والجندي مما سواهما؛ أي فوق أوامر القائد الأعلى إذا خالف شرع الله، وفوق مصلحة النظام الذي يحرس حدود كيان يهود.

إن العقيدة العسكرية الحقّة هي التي تجعل الجندي يدرك أن طاعة «الرويبضة» في معصية الخالق هي عين الخسران، وأن الولاء الحقيقي هو لنصرة دين الله وإعلاء كلمته، وهو ما يتجسد اليوم في إعطاء النصرة لإقامة الخلافة التي تقود الجيوش نحو الملاحم لا نحو الاستعراضات.

فما بقاء الجيوش مرتهنةً للمعونات الأمريكية، والتدريبات الغربية، والاتفاقيات الأمنية المذلة، إلا «نارٌ» تحرق كرامة الجندي ودينه.

أما «حلاوة الإيمان» في وعي حامل الدعوة فهي القوة التي تُحيل العجز اقتداراً، والشتات وحدةً

هي ليست شعوراً ينتهي بانقضاء الصلاة، بل هي «منهج حياة» يرفض أن تكون أمة القرآن ذيلاً للقوى الرأسمالية أو مسرحاً لصراعات الأمم الملحدة. حين يذوق شباب الأمة هذه الحلاوة، ستغدو عروش الظلم أهون عندهم من بيت العنكبوت، وستتحطم صخور «الواقعية السياسية» المنهزمة تحت أقدام المبدئية الصلبة.

إنها حلاوةٌ تمهد الطريق لولادة «فجر الخلافة»، حيث يعود الإسلام قائداً للبشرية، ويتحول الإيمان من نبضٍ في الصدور إلى عدلٍ يملأ الأرض، وقوةٍ تكسر أغلال المستكبرين.

إن الأمة التي يتغلغل في سويداء قلبها صدقُ هذا الحديث، هي أمةٌ لا تُهزم. إن حلاوة الإيمان هي الزاد الذي يُعين «كتلة» المخلصين على مواجهة غطرسة الجبابرة.

فليكن إيمانكم وقوداً لعملكم السياسي، وليكن حبكم لله ولرسوله مناراً يهديكم في ظلمات التيه، وليكن كرهكم لأنظمة الكفر دافعاً لاستئصالها من جذورها.

ففجر الخلافة لا يبزغ بقرارات الأمم المتحدة، بل بقلوبٍ ذاقت حلاوة الإيمان فباعت نفسها لله، وعاهدته على إقامة دينه، وما ذلك على الله بعزيز.■

حاجة الإنسان المستمرة إلى هداية الله وحده

خليفة محمد- الأردن

قال تعالى:

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة/٦].

الهدى والهداية تأتي في اللغة على غير معنى، ومثل ذلك في القرآن الكريم والسنة والنبوية، فقد أُطلِقت وأُريدَ بها إيجاد قابلية الهداية في الإنسان؛ في عدد من آيات القرآن الكريم، كمثل قوله تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ [البلد/١٠] أي الاختيار بين طريق الخير وطريق الشر، ومثل قوله تعالى:] إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ [[الإنسان/٣]، أي خلَق في الإنسان قابلية الاختيار بين الشكر والكفر، أي الإيمان والكفر. وهذا المعنى يؤكده قوله تعالى مُقسِماً بالنفس: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [[الشمس/٨] أي وضع في النفس قابلية الاختيار بين الفجور والتقوى. وليس هذا المعنى مقصوداً في هذه الآية الكريمة موضع حديثنا.

والهدى والهداية جاءت في أكثر المواضع في القرآن الكريم لمعانٍ تدور حول البيان والإرشاد والدلالة والتأييد والتوفيق للحق والثبات عليه، وعلى هذه المعاني جاء طلب الهداية في هذه الآية التي نقف معها، فالمسلم يقف بين يدي الله تعالى في صلاته، وفي كل ركعة منها يسأل الله تعالى أن يهديه الصراط المستقيم، ويكرر ذلك عشرات المرات كل يوم وليلة، فما هو الصراط المستقيم؟ ولماذا هذا التكرار في اليوم والليلة؟ وكيف تكون الهداية إلى الصراط المستقيم؟ ومن هم الذين يستحقون أن يهديهم الله تعالى إلى الصراط المستقيم؟

ذكر الصراط المستقيم مرات عديدة في القرآن الكريم، وقبل ذكر ما يتيسر منها نشير إلى أنّ الله تعالى عرّف الصراط المستقيم في سورة الفاتحة بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم، وليس صراط الذين غضب الله عليهم وهم اليهود، ولا صراط الضالين وهم النصارى، أمّا الذين أنعم الله عليهم فقد ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء/٦٩]

فالذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، ومن يطع الله ورسوله يحشر معهم ويكون قد هدي إلى الصراط المستقيم، الذي هو طاعة الله ورسوله. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران/١٠١].

فالصراط المستقيم هو صراط الله تعالى كما في قوله سبحانه مخاطباً رسوله ﷺ:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى/ ٥٢-٥٣]، فتدل الآيتان على أن القرآن الكريم الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى روحاً من أمره إلى رسوله هو صراطه المستقيم، يهدي به الله من يشاء من عباده، وأنّ الرسول ﷺ يهدي إلى صراط مسقيم، وبهذا نطقت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى:﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾ [الأنعام/١٢٦]، وقوله تعالى:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام/١٥٣] والإشارة بـ «هذا» في الآيتين هي إلى القرآن الكريم، فهو صراط الله المستقيم.

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن الهداية أُسندت في مواضع من القرآن الكريم إلى الله تعالى، كقوله سبحانه:﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [النحل/٩٣]، وفي مواضع أخرى أُسندت للعبدِ، كقوله تعالى:﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الإسراء/١٥]، وفي مواضع أُسندت إلى القرآن الكريم، وإلى الرسل وأتباعهم كما تبيّن من قبلُ. ولا تعارض بين تلك المواضع، فالله تعالى خلق في الإنسان قابلية الهدى والضلال، بحيث يختار العبد طريق الهداية أو طريق الضلال، وطريق الهداية الذي على العبد أن يختاره ويسير عليه هو الطريق الذي أنزله الله تعالى على رسوله، وهو القرآن الكريم مع بيان الرسول ﷺ له، فالعبد إن اختار هذا الطريق السويّ المستقيم وفقه الله سبحانه فيه وأيّده وثبّته ما دام يسير عليه ويتخذه منهجاً لحياته، يقول عز وجلّ:﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد/١٧]، ويقول أيضاً:﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ﴾ [مريم/٧٦]، وجعل سبحانه وتعالى الإيمان سبباً لتحصيل الهداية من الله تعالى، فقال سبحانه:﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن/١١]، وجعل سبحانه المجاهدة فيه سبباً لهداية العبد سبل الله تعالى، فقال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ

لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/٦٩]، فهداية الله تعالى خلق للقابلية أولاً، ثم توفيق فيها لمن اختارها، وهداية العبد اختيار للهداية، وهداية القرآن بيان للطريق المستقيم، وهداية الرسول دلالة وإرشاد إليه وإلى بيانه. يقول الإمام القرطبي في تفسيره [١٦٠/١]: «الْهُدَى هُدَيَانِ: هُدَى دَلَالَةٍ، وَهُوَ الَّذِي تَقْدِرُ عَلَيْهِ الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد/٧]. وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى/٥٢] فَأَثْبَتَ لَهُمُ الْهُدَى الَّذِي مَعْنَاهُ الدَّلَالَةُ وَالدَّعْوَةُ وَالتَّنْبِيهُ، وَتَفَرَّدَ هُوَ سُبْحَانَهُ بِالْهُدَى الَّذِي مَعْنَاهُ التَّأْيِيدُ وَالتَّوْفِيقُ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص/٥٦] فالهدى على هذا يجئ بِمَعْنَى خَلْقِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٥] وقوله:﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [فاطر: ٨]» انتهى قول القرطبي رحمه الله.

ولربما سأل سائل عن مدى أهمية الهداية للإنسان، وللجواب عن ذلك فلا بد من إدراك واقع الإنسان واختلافه عن بقية المخلوقات المحسوسة التي خلقها الله سبحانه وتعالى وقدّر فيها نظامها الذي يُصلحها وتَصْلُحُ به، ما عدا الإنسان، الذي اختاره الله سبحانه للاستخلاف في الأرض، فلم يجبره على نظام لحياته، بل أعطاه العقل ليختار النظام الذي يسير عليه. وجعل فيه حاجات عضوية وغرائز تحتاج إلى نظام لإشباعها، ولا يستطيع عقله المحدود الوصول إلى ذلك النظام الذي يحقق للإنسان العيش الهنيء، الذي يُرضي الله سبحانه وتعالى، ذلك أنّ أحكام الإنسان العقلية عرضة للاختلاف والتفاوت والتناقض والتأثر بالبيئة، فلا بد له من نظام الله تعالى الذي أنزله على رسله لهداية الناس إلى نظام الله تعالى، وإلى ما يُرضيه سبحانه، فلا عجب أن يطلب العبد المسلم أن يهديه الله سبحانه الصراط المستقيم عشرات المرات في اليوم والليلة، وأن يطلب من الله تعالى الثبات على الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات والأرض. أما عدمُ اتباع نظام الله تعالى فهو حتماً اتباع للهوى، وهو الضلال بعينه، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال سبحانه:﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص/٢٦]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية/٢٣]

فاللهم اهدنا الصراط المستقيم.■

مظاهرات في الشام رفضا لإدخال المجرمين والولاءات للدول الغربية في صفوف قيادات الجيش

خرج أهالي مدينة الرقة مساء الأربعاء ١١ آذار/مارس ٢٠٢٦، في مظاهرة احتجاجية ضد قرار تعيين سيبان حمو معاوناً لوزير الدفاع عن المنطقة الشرقية. وتجمع المحتجون في دوار النعيم وسط المدينة، حيث رفعوا لافتات ورددوا شعارات احتجاجية تعبر عن رفضهم للقرار، مطالبين بالتراجع عنه.

ونقل مراسل (تأكد) في المنطقة أن المتظاهرين اتهموا «حمو» بارتكاب جرائم حرب بحق المكون العربي في المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة قوات سوريا الديمقراطية (قسد). وأضاف المراسل أن المشاركين في المظاهرة أكدوا أن احتجاجهم يأتي رفضاً لما وصفوه بتجاهل معاناة الضحايا والانتهاكات التي شهدتها المنطقة خلال السنوات الماضية، معتبرين أن هذا التعيين لا يراعي مطالب الأهالي في المنطقة الشرقية.

وردد المتظاهرون شعارات تؤكد تمسكهم بكرامة المدينة وحقوق الضحايا، مؤكدين أن «الرقة لن تقبل تبييض الانتهاكات أو مكافأة من ارتبط اسمه بها تحت أي ظرف»، كما رددوا شعارات عبروا خلالها عن تضامنهم مع محافظتي الحسكة ودير الزور، والمدن التي تعرضت طوال سنوات سيطرة قسد عليها لانتهاكات جسيمة من قبل القوات التابعة لها.

وكان مسؤول الإعلام في وزارة الدفاع السورية عاصم غليون قد أعلن قبل ذلك تعيين سيبان حمو معاوناً لوزير الدفاع عن المنطقة الشرقية في الجمهورية العربية السورية.

ويعرف سيبان حمو بأنه قيادي عسكري كردي، شغل منصب القائد العام لوحدات حماية الشعب (YPG) المرتبطة بحزب العمال الكردستاني (PKK)، وكان له دور في قيادة القرار ضمن «قسد» خلال عدة مراحل.

الوعي: هذه نتيجة غياب الوعي السياسي وانعدام المبدئية في التعامل مع القضايا، إذ تجعل القرارات تبعا للهوى والمصالح الآنية دون اكتراث بالحكم الشرعي والثوابت الإسلامية. قال تعالى:﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

استحلال الحرام في الشام تحت ذريعة «الحريات الشخصية»، بيع الخمور

لم يفلح توضيح محافظة دمشق واعتذارها بشأن قرار تقييد بيع المشروبات الكحولية في دمشق بحل الأزمة. فقد تجمّع مئات السوريين الأحد في دمشق في اعتصام صامت، احتجاجاً على القرار. وتوافد المحتجون إلى ساحة حي باب توما ذي الأغلبية النصرانية، وسط إجراءات أمنية مشددة، بدعوة من ناشطين في المجتمع المدني، في تحرك يعكس رفض المساس بالحريات الشخصية. كما رفع المحتجون العلم السوري، ولافتات بالعربية والإنجليزية كتب على إحداها «الحرية الشخصية

خط أحمر».

بدورها، قالت الأستاذة الجامعية حنان عاصي البالغة من العمر ٦٠ عاما، التي حملت لافتة كتب عليها «بنود الدستور حق وليست مطلباً»، إن لدى السوريين آلاف القضايا المنسية من الفقر إلى المهجرين والمشردين واللاجئين، مضيفة: «نحن في مرحلة بناء ولسنا في مرحلة تفريق»، وفقا لوكالة «فرانس برس».

أتى هذا الغضب بعدما أصدرت محافظة دمشق في ١٧ آذار/مارس قرارا يحصر بيع المشروبات الروحية المختومة في ثلاث مناطق تقطنها أغلبية نصرانية، هي القصاع وباب توما وباب شرقي، ومنع تقديمها في المطاعم والملاهي، عازية القرار إلى شكاوى من المجتمع المحلي، فيما تسعى إلى الحد من «الظواهر المخلة بالآداب العامة».

ونصّ قرار محافظة دمشق على «منع تقديم المشروبات الروحية في المطاعم والملاهي الليلية في مدينة دمشق»، وحصره «ببيع المشروبات الروحية المختومة حصرا في (باب توما والقصاع وباب شرقي) وذلك في المحالّ المخصصة بأساس رخصة البناء التجاري».

الوعي: عندما يكون التشريع لغير الله كما هو في الشام اليوم فيمكن للمرء أن يتوقع أي شي. وهذا أمر متوقع في ظل التبعية للضامن التركي ومن خلفه أميركا صاحبة المشاريع السياسية العلمانية عند الوكلاء. فسلطة اللحى «الشكلية» أباحت بيع الخمر في المحالّ مهما كانت التسميات، بل تركت قوانين حافظ وبشار كما هي في هذا الشأن.

فرعون مصر حربٌ على الإسلام والمسلمين سِلمٌ على الاستعمار والمستعمرين

جاء في بيان صحفي للمكتب الإعلامي لحزب التحرير ولاية مصر بتاريخ ٤ شوال ١٤٤٧ هـ الموافق ٢٢ آذار ٢٠٢٦م ما يلي:

امتثل النظام الفرعوني المصري لأوامر أسياده في واشنطن، وشنت أجهزته الأمنية حملة مداهمات واعتقالات لحملة الدعوة إلى إقامة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة؛ وذلك في الأيام الفضيلة الأخيرة من شهر رمضان المبارك وأيام العيد، ضاربة عرض الحائط بكل الشعائر الإسلامية وحرمة الأيام الفضيلة، إلى جانب انتهاك حرمات المسلمين وأعراضهم وبيوتهم، حيث قامت بترويع الآمنين من النساء والأطفال والشيوخ في بيوتهم في ليالي القيام، وبالتفتيش العنيف للبيوت وكسر الأبواب وتخريب الأثاث وإخراج النساء والأطفال منها، ومصادرة أجهزة الاتصال، في مشاهد لم نرَ مثلها إلا على شاشات التلفزيون لجيش يهود الغاصبين في حق أهلنا في الأرض المباركة فلسطين.

إننا نعلم أن هذه الحملة لم تكن بدوافع محلية بسبب تخوفات النظام من حملة الدعوة، فهذه الحرب ليست حربه وهذا الصراع ليس معه، بل هي تنفيذ لأوامر أمريكا الصليبية التي تعي تماماً حجم خطورة الدعوة للخلافة، كما جاء مؤخراً في تصريحات وزير حربها الصليبي بيت

هيغسيث، فهي التي تعرف تماماً أن القضاء على نفوذها الاستعماري في بلاد المسلمين لن يكون إلا بأيدي أتباع سيدنا محمد ﷺ، كما كانت عاقبة فرعون على أيدي سيدنا موسى عليه السلام، أما النظام المصري، فهو لا يعدو أن يكون أداة قذرة تستخدمها أمريكا الصليبية لقمع من يحمل دعوة نهضة الأمة الإسلامية بإقامة خلافتها الراشدة، التي ستوحّد بلاد المسلمين، وتقتلع نفوذ الاستعمار الغربي منها، وتقضي على كيان يهود وتطهّر الأرض المباركة فلسطين من دنس يهود، تحقيقاً لبشرى رسول الله ﷺ في قتل يهود وتحرير المسجد الأقصى الأسير والمغلق منذ أكثر من عشرين يوماً.

يا أهل مصر الكنانة: إنكم تدركون تماماً أن النظام المصري قد جُنّد في الحلف الصليبي منذ هدم الخلافة، وما موقفه المتخاذل من المجازر التي يرتكبها كيان يهود المسخ، في فلسطين، وما موقفه المتفرج على مجازر أمريكا في بلاد الإمام مسلم والبخاري، إيران، وفتحه قناة السويس لأسطول أمريكا البحري؛ إلا شاهد على أنه عدو لأمتكم، مصداقاً لقوله تعالى:﴿۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾.

فخذوا على أيدي هذا النظام الفرعوني البغيض، وضَعوا أيديكم بأيدي صاحب مشروع النهضة الحقيقي، حزب التحرير، لإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، فيكون لكم شرف إقامتها وتسبقون غيركم وتسارعون في الخيرات، فتنالون عز الدنيا ونعيم الآخرة ورضواناً من الله أكبر، واعلموا أنكم أهل لذلك وقادرون عليه بإذن الله، ولو وظف النظام كل طاقاته لقمعكم وكتم أنفاسكم، فهو لن يكون أشد بأساً وجبروتاً من جده فرعون، الذي أهلكه الله بالغرق في البحر، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝﴾.

أيها المسلمون في الأجهزة الأمنية: احذروا غضبَ الله عليكم، فيهلككم الله كما أهلك فرعون، وهذا يتطلب منكم أن تعصوا أوامرَ المأمور الذي يأمركم أن تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، بانتهاك حرمات الإسلام والمسلمين، وترويع الآمنين، وسجن وتعذيب حملة الدعوة. وتذكروا أن مشركي قريش قد ترفعوا عن القيام بما يأمركم به قادتكم، حيث امتنعوا عن اقتحام بيت النبي ﷺ خشية أن يُقال «روّعوا بنات محمد»، فهل افتقرتم لنخوة أبي جهل والوليد بن المغيرة؟! وتذكروا أنكم غير معذورين بما تقومون به بعذر أن «هذه أوامر المأمور»، وأنكم في الإثم سواء مع فرعون وهامان، قال تعالى:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

يجب عليكم أن تقتدوا بالصحابة الكرام، فتكونوا جنداً كجند عمرو بن العاص الذي فتح مصر لينقذكم من النار، لا أن تكونوا جنداً في جيش فرعون الذي يلاحق المؤمنين لإيمانهم، ويفتنهم عن دينهم، ويعوق نهضة هذه الأمة بالإسلام العظيم. فاتقوا الله، ولا تخافوا في الله لومةَ فرعون وهاماناته، مهما كثروا وتجبروا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

استدراك

القراء الأعزاء:

جاءنا من الأخ الكريم، المهندس ثائر سلامة (أبو مالك)، جزاه الله خيرا، ما يلي:

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فيما يتعلق بمقالي المنشور في الوعي الأعداد **٤٧٤+٤٧٥+ ٤٧٦** بعنوان (**إسقاط فكرة الاستدلال باختلاف المطالع على دخول الشهور القمرية، وإسقاط فكرة أن لكل أهل بلد رؤيتهم للهلال**) ، فقد وصلني تعليق يفيد أن بعض ما ورد فيه فُهم منه الدعوة إلى اعتماد الحساب الفلكي في رد شهادة الشهود في مسألة رؤية الهلال. ويبدو أن طريقة التعبير في المقال لم تكن كافية في بيان مقصودي، فأحببت أن أوضح الأمر رفعًا للالتباس، واعتذارا عما وقع من قصور في البيان.

إن مقصودي لم يكن البتة أن المسلم، بعد صدور حكم القاضي أو الجهة المخولة بالنظر في ثبوت الهلال، يحق له أن يرد ذلك الحكم اعتمادًا على الحسابات الفلكية، أو أن يمتنع عن العمل به، أو أن يثير خلافًا وبلبلة في المجتمع بحجة مخالفة تلك الشهادة لبعض المعطيات الفلكية. فهذ ليس مرادي، ولم أرد أن يُفهم من كلامي بحال.

بل الذي أراه، وأؤكده، أن الصيام والفطر والأضحى من الشعائر العامة التي ينبغي أن يظهر فيها اجتماع المسلمين، لا تفرقهم وتنازعهم؛ ولذلك جاء في الحديث: (**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون**)، وهو يدل على اعتبار اجتماع المسلمين في هذه الشعائر، وأن أمرها مردّه إلى الجهة التي تتولى النظر فيها وإعلانها للأمة. فإذا صدر القرار ممن له صلاحية القضاء أو الولاية أو من الهيئة المكلفة بتحرّي الأهلة والتحقق من الشهادات، فلا ينبغي للمسلم أن يشذ عن ذلك بدعوى الحساب، ولا بغيره من الدعاوى التي تفضي إلى اضطراب الناس وتفرق كلمتهم.

ولم يكن المقصود من المقال أن ننتقل من فتنة اختلاف المسلمين بسبب الحدود السياسية القائمة، واختلاف البلدان في الصوم والفطر، إلى فتنة جديدة منشؤها اختلاف الناس في اعتماد الحسابات الفلكية أو عدم اعتمادها، أو اختلافهم في الجهة التي يأخذون منها في هذا الباب. فالمقصود هو دفع أسباب الفرقة، لا فتح باب جديد لها.

ومع إدراكي التام أن الحساب الفلكي لا يُعتمد شرعًا في إثبات الرؤية الموجبة للصوم أو الفطر، فإن ما يمكن أن يجري عند مناقشة الشهود إنما يكون في **حدود الرؤية نفسها**، لا في حدود المصطلحات والنظريات الفلكية. فيُسأل الشاهد -مثلًا- عن سلامة بصره، وعن الهيئة التي رأى عليها الجرم: هل رآه هلالًا أو دائرة أو على هيئة أخرى؟ وعن جهة القوس، ومتى رآه: قبل الغروب أم بعده؟ وهل رآه وحده أم رآه معه غيره؟ ونحو ذلك من الأسئلة المتعلقة بوصف المشاهدة نفسها، مما يعين القاضي أو الجهة المختصة على التثبت من الشهادة.

أما أن تُبنى مناقشة الشاهد على أسئلة فلكية محضة، مثل: هل كانت الرؤية قبل الاقتران أو بعده؟ وما مقدار الاستطالة؟ وما حدّ دانجون؟ ونحو ذلك من الاصطلاحات الفنية؛ فهذا ليس مما يُناط بعامة الشهود، ولا هو الأصل الذي علّقت عليه الشريعة ثبوت الصوم والفطر. فالأخذ بالشهادة أو ردّها إنما هو من عمل القاضي أو الجهة المخولة شرعًا بالنظر في ذلك، بحسب ما يظهر لها من التثبت والتحري.

والأدلة الشرعية في هذا الباب واضحة، ويكفي في ذلك قول النبي ﷺ : **(صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)**، فالنبي ﷺ علّق الحكم على الرؤية، وجعل عند تعذرها بسبب الغيم أو نحوه إكمال العدة ثلاثين يومًا، مع أن وجود الهلال في نفسه وراء الغيم قد يكون معلومًا حسابًا، ومع ذلك لم يجعل الشارع هذا العلم الحسابي هو المعتمد في الحكم، بل علّق الحكم على الرؤية أو على إكمال العدة عند تعذرها.

وعليه، فإن كل ما ورد في المقال على وجه قد يُفهم منه اعتماد الحساب الفلكي في ردّ الشهادة، أو في جعل تحرّي الهلال أمرًا ثانويًا لا لزوم له، أو في تقديم الحساب على ما يثبت عند الجهة المختصة بالنظر في الأهلة، فإني أصرح بأن هذا الفهم غير مراد، وأن ما كان من العبارة موهمًا لذلك فهو **ملغى**، وأعتذر عنه اعتذارًا صريحًا.

وأكرر اعتذاري لهذا الخطأ في التعبير، وعن النقص في الشرح والبيان، وأسأل الله الرحمن الرحيم لي ولإخواني جميعًا أن يجعلنا وقّافين عند الحق، متجردين له، لا نخشى في الله لومة لائم، وأن يجمع المسلمين على كلمة سواء، وأن يوحد صفهم تحت راية الإسلام، راية: **لا إله إلا الله محمد رسول الله**. والله سميع مجيب.

أبو مالك، ثائر سلامة].

الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع

ريان عيسى - العراق

من سيرة أصحاب رسول الله ﷺ نأخذ دروس الشجاعة والإقدام، فهؤلاء الأصحاب الأطهار غيروا وجه العالم بفكرهم وعقيدتهم وشجاعتهم، فإن أردنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه وجب علينا اتباع سيرتهم والتضحية في سبيل ديننا وعقيدتنا، وسنتحدث في هذه الوقفة عن أحد شجعان الصحابة، ألا وهو الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

أخرج البخاري عن سلمة رضي الله عنه، قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟

قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله.

قال : «وأيضاً» فبايعته الثانية، فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت. وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي كما في العيني، والبيهقي، وابن سعد.

وأخرج البخاري أيضاً عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه، قال: لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت. فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ. وأخرجه أيضاً مسلم كما في العيني، والبيهقي.

هو سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، يكنى أبا مسلم، وكان يُعد من سادات قبيلة أسلم وشجعانهم. صحابي جليل وشجاع متميز، اشتهر بكونه «بطل المشاة» وقناصاً ماهراً، بايع النبي ﷺ تحت الشجرة (بيعة الرضوان). عُرف بسرعته الفائقة التي تسبق الخيل، وشارك في غزوات عديدة، أبرزها غزوة ذي قرد التي أظهر فيها بطولة منفردة. توفي في المدينة المنورة بالربذة سنة ٧٤ هـ.

قال العطاف بن خالد عن عبد الرحمن بن رزين: أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة فأخرج إلينا يدًا ضخمة كأنها خف البعير، فقال بايعت بيدي هذه رسول الله، قال فأخذنا يده فقبلناها، وقال مولاه يزيد: رأيت سلمة يصفر لحيته وسمعته يقول: بايعت رسول الله ﷺ على الموت وغزوت معه سبع غزوات.

أظهر بأسا شديدا وشجاعة قل مثيلها في غزوة ذي قرد: وهي من أشهر مواقفه، حيث طارد بمفرده أربعين فارساً من غطفان ممن سرقوا إبل النبي ﷺ، وقاتلهم مشياً على الأقدام وأعاد الإبل حتى جاءه المدد، وقال عنه الرسول ﷺ: «**خير رجالتنا سلمة بن الأكوع**».

روى عدة أحاديث عن النبي ﷺ، وروى عنه ابنه إياس ومولاه يزيد بن أبي عبيد.

وقد سكن الربذة (وهي منطقة قرب المدينة) وتوفي بها سنة ٧٤ هـ في أواخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقيل قبل ذلك. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنى الفردوس الأعلى إن شاء الله بجوار حبيبه وحبيبنا المصطفى ﷺ.

حين تتهاوى أسطورة القوة

كشفت حرب أمريكا ويهود الأخيرة على إيران حقيقةً كبرى ظل الغرب -وعلى رأسه أمريكا- يعمل طويلًا على حجبها: أن القوة ليست فيما تملكه الدولة من حاملات طائرات، ولا فيما تخزنه من رؤوس نووية، ولا فيما تبثه من صور الهيبة والسطوة فحسب، بل وفيما تملكه الأمة من مفاتيح التأثير الحقيقي في حياة العالم، وفي شرايين اقتصاده، وفي أمنه الطاقي والغذائي والتجاري.

لقد بدا جليًا أن العالم الإسلامي لا يقف على هامش التاريخ، ولا يعيش عالة على غيره، بل يجلس على أحد أعظم أرصدة القوة في هذا العصر: المضائق البحرية التي تمر منها التجارة العالمية، والثروات الهائلة من النفط والغاز والأسمدة، والموقع الجغرافي الذي تتوقف عليه حركة الشرق والغرب، والشعوب التي تملك من الطاقة البشرية والإيمانية ما لو أُحسن توجيهه لبدّل وجه العالم. ومضيق هرمز ليس إلا مثالًا واحدا على ذلك؛ فكم من قوة عظمى ترتجف أسواقها، وتضطرب حساباتها، ويختل أمنها الاقتصادي، لمجرد تهديدٍ في معبر من معابر أمتنا!

إنها لحظة كاشفة: فما يُسمى بالقوة العظمى ظهر أنه هشٌّ أمام أدوات التأثير التي أودعها الله في بلاد المسلمين. وما بدا ثابتًا لعقود أخذ يتصدع أمام حقيقة أن العالم الإسلامي يملك أوراقًا تفوق في أثرها كثيرًا من الأسلحة الفتاكة، لأنها تمس حياة العالم من جذورها. إن حسن استعمال هذه الأوراق، سياسيًا واقتصاديًا وإستراتيجيًا، قد يجعلها أقوى من السلاح النووي ذاته، لأنها سلاح يفرض المعادلات قبل أن يفرض الدمار.

فيا أمة الإسلام: افتحي عينيك على ما بين يديك، وارفعي بصرك إلى مقامك الحقيقي، واكسري قيد الوهم الذي صغّرك. إنك لست أمةً مستضعفة، بل أمةٌ مُعطّلة. وإن موازين القوى لا تُقلب بالعدد المجرد، بل بإدراك عناصر القوة، وحسن امتلاكها، والجرأة على توظيفها. وحين تنهض الأمة بوعيها، تعرف الدنيا كلها أن زمن الاستعلاء الأمريكي ليس قدرًا محتمًا، وأن فجرًا جديدًا يمكن أن يولد من أرض الإسلام.

الموقع الرسمي لمجلة الوعي: http://www.al-waie.org
الحساب الرسمي لمجلة الوعي على الفيسبوك: https://www.facebook.com/alwaie.info
الحساب الرسمي لمجلة الوعي على إكس (التويتر): https://x.com/alwaiemagazine
القناة الرسمية لمجلة الوعي على الانستغرام: https://www.instagram.com/alwaiemagazine/
عنوان المجلة على الديلي موشن: https://www.dailymotion.com/alwaiemagazine